الآبار التي تمد من الجاهلية.. مكة المكرمة بالمياه "١" وحتى القرن العاشر الهجري

بقلم:

د. نعيمة بنت عبد الله بن دهيش

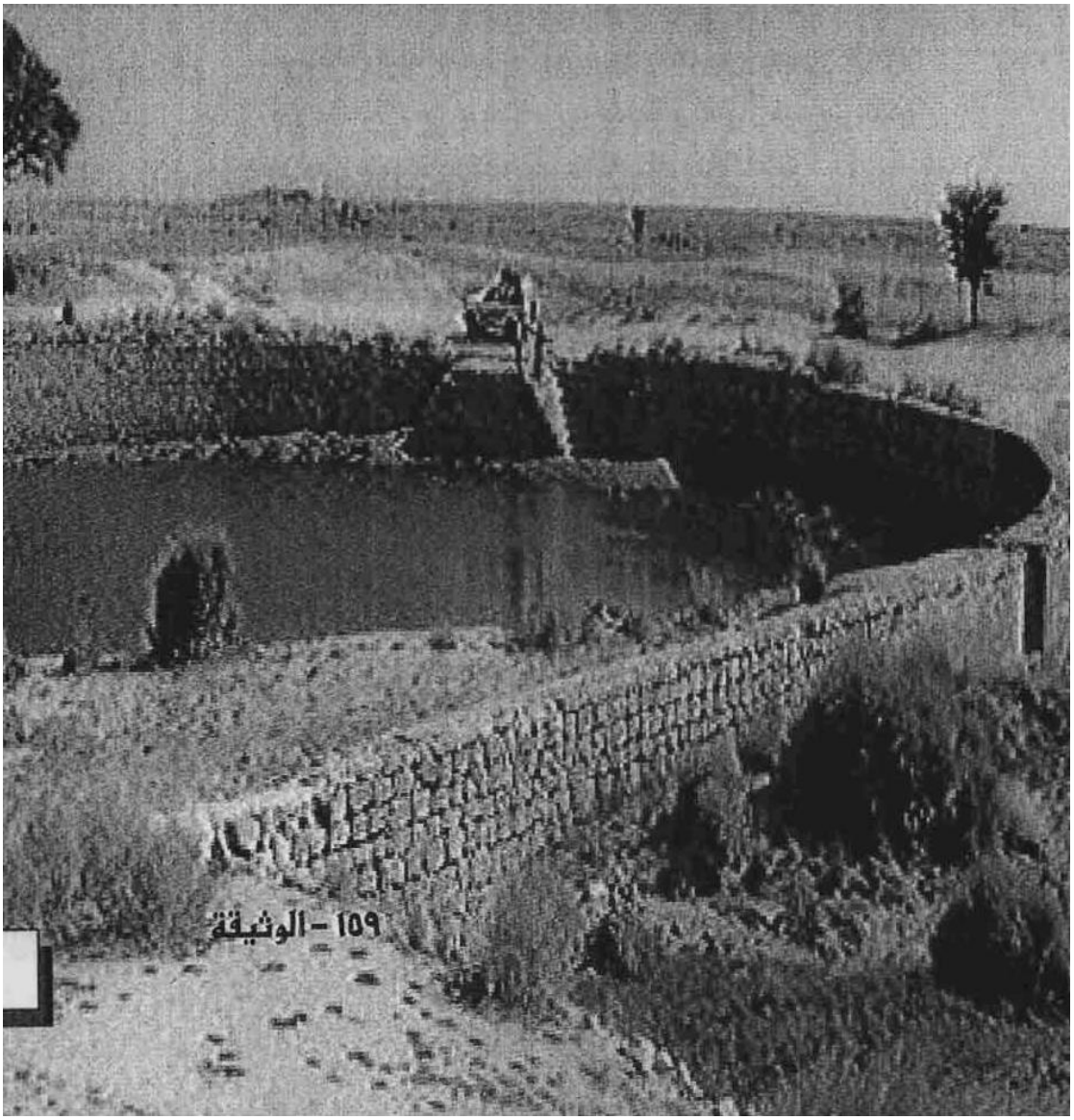

للماء أهمية قصوى للإنسان وللحيوان، وللطير، وللنبات، ولكل كائن حي، فجميع المخلوقات لا تستغني عن الماء بأي حال من الأحوال، إذ يعتبر نعمة وهبة من الله عز وجل لإدامة الحياة ولتطهير البشر والأرض، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [١].

وهو من أهم عناصر وجود واستمرار الحياة على كوكب الأرض، وقد جاء ذكر الماء في القرآن الكريم في إحدى وخمسين موضعاً، وكلمة (أنهار)، و(عيون) و(ينابيع) و(مطر) و(برد) و(ريح) و(رياح) وردت مرات عديدة في القرآن الكريم لتذكير الإنسان بنعم الله، وكلها لها علاقة بالماء ونزول المطر.

وأمتن الله على المؤمنين، أن أنزل عليهم الماء الذي فيه قوام حياتهم، قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[٢].

ووصف الله الماء على أنه مبارك، أي أنه كثير العطاء، قال الله تعالى: (**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**) [٣].

وذكر الله تعالى أن إنزاله الماء من السماء، وإحيائه الأرض بعد موتها، هو دليل وآية على وجود الله، قال تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)[٤].

وقال تعالى: (**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)[٥].

وأمتن الله على الكافرين بأن جعل من الماء كل شيء حي، قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**)[٦].

وذكر الله الماء على أنه من نعيم الجنة وأن أهل النار يعذبون بحرمانهم منه، قال تعالى: (**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ**

اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[٧].

كما ذكر الله الماء على أنه جند من جنود الله، ووسيلة لإهلاك الكافرين، قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)[٨].

وقال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[٩].

وذكر الله إحدى فوائد الماء وهي التطهير قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)[١٠].

وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)[١١].

وأمرنا الله بالوضوء عند كل صلاة والاغتسال بالماء عند كل جنابة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[١٢].

ويشير القرآن إلى أن نعمة الماء هي للنبات أيضاً، وذلك بقوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)[١٣].

وقال عز وجل: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**)[١٤].

وقد شبه النبي (صلى الله عليه وسلم) فائدة الصلاة، وهي من أركان الإسلام الخمسة، بالماء الذي يغتسل به. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات[١٥].

وينبغي أن يقطن الإنسان إلى أن موارد المياه في العالم محدودة وقليلة، فلا يسرف في استعماله لها، ولا هدره إياها بما لا داعي له.

فهذا رسولنا وقدوتنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) يعلمنا كيفية الاقتصاد في الماء، فقد ورد أنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغسله الصاع من الماء من الجنابة ويوضؤه المد [١٦].

والصاع يساوي تقريبا لتزين ونص اللتر من الماء، أما المد فإنه يعادل ثلثي اللتر.

ويبين هذا الحديث الطريقة المثلى لاستخدام الماء بشكل عام في شبه الجزيرة العربية القاحلة، وعلى وجه الخصوص مكة المكرمة، حيث عاش الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعلى كل حال، فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى عن الإسراف في استخدام المياه، حتى ولو كانت وفيرة، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه مر بسعد وهو يتوضأ فقال: "ما هذا السرف؟ "قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: "نعم وإن كنت على نهر جار"[١٧].

فمكة المكرمة بنص القرآن، مكان لا يوجد به مقومات استمرار الحياة، فهو غير ذي زرع، وهذا يعني أنه لا زراع يزرعون، ولا ماء يشربون، ولا طعام يأكلون ولا بشر يعيشون ويأوون ويأنسون، وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، بعدما ترك زوجته وأبنه في هذا المكان القفر الذي لا ماء فيه يرفع يديه للسماء مخاطباً الله عز وجل: **(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)** (١٨).

والماء قبل كل شيء منفعة اجتماعية في الإسلام، فهو هبة من الله، وعنصر ضروري لاستمرار الحياة.

فالمياه ملك للمجتمع بأسره، وأولى استعمالات المياه هي الحصول على مياه الشرب بكمية ونوعية مقبولين للحفاظ على حياة البشر، ولكل كائن حي الحق في الحصول على هذه الحاجة الإنسانية، ثم توفيرها للحيوانات الأليفة، وأخيراً توفيرها لأغراض الزراعة والري.

الآبار التي تمد مكة المكرمة بالماء قبل زمزم

كانت مكة المكرمة تعاني منذ القدم من قلة المياه فيها، وكانت المياه العذبة تأتيها محمولة على الإبل من آبار خارج مكة، ولذلك تزداد معاناة أهلها كلما اندثرت زمزم، وعم الجدب والمحل أرجاء مكة.

حتى أن بعضهم فسر اسم مكة بأنها مشتقة من (ملك) أي امتص لقلة مائها، ويتغلب أهل مكة على مشكلة نقص المياه التي تعاني منها بحفر الآبار، أو عن ريق جلب المياه من خارجها.

والآبار التي كانت بها قبل زمزم، فهي كالآتي:

١- بئر كُرّ آدم:

قال الأزرقي[١٩]: حدثني محمد بن يحيى، قال: سمعت عبد العزيز بن عمران، يقول: بلغني أن آدم حين أهبط إلى مكة، حفر بئرا تسمى: كُرّ آدم[٢٠] بالمفجر في شعب حواء[٢١].

٢- بئر رم:

وبعد انتشار قريش بمكة، وكثر ساكنها، قلّت المياه عليهم، واشتدت المؤونة في الماء، فحفرت بمكة آبار، منها ما حفره مرة بن كعب بن لؤي ويسمى رُم.

قال الأزرقي: بلغني أن موضعها عند طرف الموقف بعرنة، قريباً من عرفة [٢٢] [٢٣].

٣- بئر خم:

وحفر كلاب بن مرة بئراً يقال له: خم، كانت مشرب الناس في الجاهلية، ويقال: أنها كانت لبني مخزوم.

وقال الفاكهي: خم: قريبة من الميثب وكان الناس يأتون خماً في الجاهلية والإسلام في الدهر الأول يتنزهون به، ويكونون فيها[٢٤]. وكان موقعها خارج مكة[٢٥].

وفي غير موضع قال الفاكهي: إن عبد شمس احتفر بعد العجول – يقصد البئر التي سيأتي ذكرها بعد قليل – خماً، وهي البئر عند الردم[٢٦] ، عند دار عمرو بن عثمان، وهذه خلف دار آل جحش بن رئاب الأسدي، التي يقال لها دار أبان بن عثمان[٢٧].

فكلام الفاكهي هذا يفهم منه أن بئر خم بئران أحدهما هذا الذي نحن بصدد وصفه، والآخر يقع في منطقة الغزة أمام البريد المركزي على ما أفاد به الشيخ ابن دهيش محقق الفاكهي[٢٨].

والاحتمال الثاني في فهم كلام الفاكهي أنه يقصد بـــ (بئر خم) البئر التي عند ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سيأتي وصفه قريباً.

٤- بئر اليسيرة:

كان أول من حفر مرة، حفر بئراً يقال لها: اليسيرة، خارجة من الحرم، فكان أهل مكة يشربون منها دهراً، فإذا كثرت الأمطار شربوا منها، وإذا قحطوا ذهب ماؤها، وكانوا يشربون من أنجاد في رؤوس الجبال[٢٩].

٥- بئر الرواء:

ثم كان مرة حفر بئرا أخرى، يقال لها: بئر الرواء، وهي وبئر اليسيرة خارجتان من مكة، وهما في بواديهما مما يلي عرفة، وهم يومئذ حول مكة، وخزاعة تلي البيت وأمر مكة[٣٠].

٦- بئر العجول:

كما حفر قصي بن كلاب بئرا بمكة، لم يحفر أول منها، وكان يقال لها: العجول[٣١]، كان موضعها في دار أم هانئ ابنة أبي طالب بالحزورة[٣٢]. وهي البئر التي دفع هاشم بن عبد مناف أخا بني ظويلم بن عمرو النصري، فيها فمات، وكانت العرب إذا قدموا مكة يردونها، ويتراجزون عليها[٣٣]، فقال قائل فيها:

أروى من العجول ثمت انطلق

إن قصيا قد وفى وقد صدق

بالشبع للحي وري المغتيق

قال ياقوت الحموي: العجول: مأخوذ من العجلة ضد البطء، وهي بئر حفرها قصي بن كلاب قبل خم، وقيل: حفر قصي ركية، فوسعها في دار أم هانئ بنت أبي طالب اليوم بمكة فسماها: العجول[٣٤].

وقد اسماها الفاسي الضحول، وقال: كان موضعها في دار أم هانئ ابنة عبد المطلب بالحزورة، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيستقون منها ويتزاحمون عليها، فقال قائل[٣٥]:

أروي من الضحول لمن انطلق

إن قصيا قد وفى وقد صدق

٧- بئرا عند الرمد الأعلى:

ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣٦]، في أصل الردم في أعلى الوادي، خلف دار آل جحش بن رئاب الأسدي، التي يقال لها: دار أبان بن عثمان، يقال: أن قصيا حفر بئرا عند الردم الأعلى فدثرت، وأن جبير بن مطعم بن عدي نثلها وأحياها[٣٧]، وعندها مسجد يقال: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى فيه، بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد[٣٨]، وقال الفاكهي: وكان يقال لها: البئر العليا[٣٩].

٨- بئراً بذر:

كما حفر هاشم بن عبد مناف بئر يقال لها: بذر[٤٠]، وقال حين حفرها: لأجعلنها للناس بلاغاً، وهي البئر التي في حق المقوم بن عبد المطلب، في ظهر دار طلوب مولاة زبيدة، في أصل المستنذر[٤١]، ويقال: أن قصيا حفرها ونثلها أبو لهب، وقالت فيها صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، تفاخر أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكانتا عند العوام بن خويلد ضرتين تفخر إحداهما على الأخرى[٤٢]:

نحن حفرنا بذر بجانب المستنذر الطيب العذب الذي لم يمقر

كانت بلاغاً للحجيج الأكبر وأم أحرادكم [٤٣] لم تذكر

ونحن نسقي عند كل صرصر مثل سحاب ماؤه لم يقصر

أو كغزير المزن عند الأحجر نسقي بغير الجعل لما نخفر[٤٤].

قال الفاكهي: وهي في زقاق يعرف: بأبي ذر، وفي موضع آخر قال: بخطم الخندقة، علي فم شعب أبي طالب[٤٥].

٩- بئر سجلة:

قال ابن هشام: حفر هاشم بن عبد مناف أيضاً بئر سجلة[٤٦]، بسين مهملة وجيم، وهي برباط السدرة[٤٧] ، ويقال لها: بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وقد أدخلها حماد البربري في دار هارون الرشيد أمير المؤمنين التي بناها بين الصفا والمروة في أصل المسجد الحرام، والتي كان يقال لها: دار القوارير في زمن الأزرقي والفاكهي، وكانت البئر شارعة في المسعى، يقال: أن جبير بن مطعم ابتاعها من ولد هاشم[٤٨].

وقال بعض المكيين: وهبها له أسد بن هاشم، حين ظهرت زمزم[٤٩]. ويقال: وهبها عبد المطلب، حين حفر زمزم، واستغنى عنها للمطعم بن عدي، وأذن له أن يضع حوضاً عند زمزم، من آدم يستقى فيها منها ويسقى الحاج، قال الأزرقي: (وهو أثبت الأقاويل عندنا) [٥٠].

وقالت خالدة بنت هاشم تذكر سجلة:

نحن حفرنا يا لقوم سجلة في دارنا ذات فصول سهلة

نابتة فوق سقائها بقلة تسقي الحجيج زعلة فزعلة[٥١]

ويقال وهبها له عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها، وسأله المطعم بن عدي أن يضع حوضاً من أدم إلى جنب زمزم يسقى فيه من ماء بئره، فأذن له في ذلك، فكان يفعل، فلم

يزل هاشم بن عبد مناف يسقي الحاج حتى توفي، فقام بأمر السقاية بعده عبد المطلب بن هاشم، فلم يزل على ذلك حتى حفر زمزم، فكان منها مشرب الحاج، وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا جاء الموسم جميعها، ثم يسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج، لأنه يكسر غلظ ماء زمزم، وكانت إذ ذاك غليظة جداً، وكان الناس إذ ذاك لهم في بيوتهم أسقية فيها الماء من هذه الآبار، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر، لأنه يكسر عنهم من غلظ ماء آبار مكة، وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون من خارج مكة(٥٢).

١٠- بئر الطوى:

كما حفر عبد شمس بن عبد مناف بئراً يقال لها: الطوي، وموضعها في دار ابن يوسف بالبطحاء(٥٣).

ذكر الفاكهي قولاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، بأن عبد شمس حفر الطوى، وهي التي بأعلى مكة، عند دار البيضاء دار محمد بن يوسف، فقالت سبيعة بنت عبد شمس:

إن الطوى إذا ذكرتم ماءها ... صوب السماء عذوبة وصفاء(٥٤).

كانت عطاء من قدير مالك ... يسقى بها الحجاج ليست تفرك

فلأسخرن من التتار وذكرها ... بملوحة يسقون منها الهلك

ولأفخرن بأن بثري ذكرها ... أكناف قيصر لا تباع فتملك

١١- بئر الجفر:

وحفر أمية بن عبد شمس بئرا يقال لها: الجفر[٥٥]، وقال:

أنا حفرت للحجيج الجفرا

وهي في وجه المسكن الذي كان لبني عبد الله بن عكرمة بن خالد بن عكرمة المخزومي بطرف أجياد الكبير، واشترى ذلك المسكن ياسر خادم زبيدة، فأدخله في المتوضئات التي عملها على باب أجياد[٥٦].

وقد قال حين حفر الجفر لنفسه:

هممت هماً أن أموت غما	حفر ت جفراً ودفنت خما
والجفر لابد بأن تطعا	حتى يرى الأمر لنا خضما
وتعرف الحق إذا ألما	نحن ولينا كم فلم نذما
ثم فرجنا الهم بعد ما أهما	ثم قمعنا الأبلح الغشما
حتى تركنا سمعه أصما	والحق لابد بأن يحما
حتى يكون أمرنا أعما	لأن قوي فرجوا المهما[٥٧]

١٢- بئر أم جعلان:

وكانت لبنى عبد شمس بئر يقال لها: أم جعلان، موضعها دخل في المسجد الحرام[٥٨].

١٣- بئر العلوق:

وكانت لبني عبد شمس أيضاً بئر يقال لها: العلوق، بأعلى مكة، عند دار أبان بن عثمان[٥٩].

١٤- بئر سقية (شفية):

وكانت لبني أسد بن عبد العزى بئر يقال لها: سقية، موضعها في دار أم جعفر[٦٠].

وقال الفاكهي: ويقال لها: شفية، ويقال لها: سقية، ويقال لها: بئر الأسود[٦١]، ثم نقل أبيات في ماء هذه البئر عن أبي عبيدة:

ماء شفية كصوب المزن وليس ماؤها بطرق أجن

وقد يكون اسم شفية هو الأرجح، وذلك لقول الحويرث بن أسد بن عبد العزي لشفية بئر بني أبيه يفخر بها:

هذي الشفية قد عرفتم فضلها مثل الصياح مصيبة للفاجر
كانت عطاء لا ينال وفضلها باد لعمرك زينة للذاكر
صوب السماء فلا يذاق كطعمها إلا المدام عمارة للعامر
فيها نفاخر من أتانا فاخراً وهي المغاث لبدونها والحاضر[٦٢]

١٥- بئر السنبلة:

وكانت لبني جمح بئر يقال لها: السنبلة[٦٣]، كانت لخلف بن وهب في خط الحزامية بأسفل مكة، قبالة دار الزبير بن العوام.

قال الأزرقي والفاكهي: يقال لها اليوم: بئر أبي، - أي في زمانهما – ويقال: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بصق فيها، قال الفاكهي معلقاً على ذلك: "والله أعلم كيف ذلك"، ويقال: أ ماءها جيد من الصداع[٦٤].

وقال الفاسي: يقال لها بئر النبي (صلى الله عليه وسلم)، والناس يستشفون بماء هذه البئر، ولعلها والله أعلم (السنبلة) [٦٥].

وقال شاعر بني جمح يمتدح بئر السنبلة:

نحن حفرنا بئر صدق سنبلة ثم تركناها برأس القنبلة

تصب ماء مثل فيض العنبلة ليست كبذر لا ولا كالحرملة

تسقى عبيطا عندها كاليعملة ثم سقينا الناس عند السهلة

صوب سحاب ربنا هو أنزله [٦٦]

١٦- بئر أم حردان:

وكانت عند رمد بني جمح بئر يقال لها: أم حردان، قال الأزرقي: ذكر أنه لا يدري من حفرها، ثم صارت لبني جمح، وقال الفاكهي: هي لعبد الله بن صفوان[٦٧].

١٧- بئر مرمرم:

وكانت لبني سهم بئر يقال لها: مرمرم، يقال أنها دخلت في المسجد الحرام حين وسعه أبو جعفر أمير المؤمنين، في ناحية بني سهم [٦٨].

١٨- بئر الغمر:

وكانت لبني سهم أيضاً بئر يقال لها: الغمر، لم يذكر موضعها[٦٩] وقد أورد الفاكهي قول بعضهم في ماء هذه البئر:

نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج الماء أيما تجيج

وقال شاعر بني سهم يذكر الغمر، بئر بني سهم:

ماذا يقول الفاخرون بمائهم جهلاً وبئري ذكرها لا ينفد

فضلت بئاركم بصوب سحابة | على صلة الطريق ترصد
فيها عذوبة ماء مزن فارس | فلها عذوبته وليست تفسد [٧٠]

١٩- بئر أم أحراد:

وحفرت بنو عبد الدار: أم أحراد، فقالت أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد، ترد على صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، حينما قالت تفاخر بحفر بنو هاشم بئر بذر، وقد كانتا ضرتين عند العوام بن خويلد:

نحن حفرنا البئر أم أحراد | نسقي الحجيج كدم الفصاد
دماً عبيطاً ليس من أعواد | ثم يسبح الماء في الجماد
سيح سحاب سال في رماد | أتفخري ببذرك الرهاد؟[٧١]

٢٠- بئر سقيا:

وحفرت بنو مخزوم: سقيا، بئر هشام بن المغيرة[٧٢].

٢١- بئر الثريا (الحفير):

وحفرت بنو تيم: الثريا، وهي بئر عبد الله بن جدعان، وهي عند الأزرقي (الثريا)، وعند الفاكهي أسمها (الحفير)، ونقل الفاكهي قولاً منسوباً إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حفرت بنو تيم: الحفير، فقال بعضهم:

الله سخر لنا الحفيرا | بحراً يجيش ماؤه غزيرا[٧٣]

وقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف يفخر على خداش بن عبد الله بن قيس في شيء كان بينه وبينه، ويذكر فضل بني عبد مناف:

نحن حفرنا في أباطح مكة حفيراً لطول الدهر عند العواقب

نسقي بها الحجيج في كل ضيقة إذا عطشوا يترون نزو الجنادب

وإن على أسيافنا السم من يعد بؤ بخسف أن يبؤ غير غالب

ويرجع مذموماً ملوماً مقصراً خداش لئيما كعبه غير راتب

لنا مكرمات من ينلها منا غدا تقصر لذا تلك الأمور المصاعب

إذا فرع الحي التهامون أرفضوا إلينا رجالاً بين راض وعاتب[٧٤]

٢٢- بئر النقع:

وحفرت بنو عامر بن لؤي: النقع[٧٥].

٢٣- بئر ميمون بن الحضرمي:

وحفرت ميمون بن الحضرمي [٧٦] بئراً، قال الأزرقي: كانت آخر بئر حفرت من الآبار التي حفرت في الجاهلية[٧٧].

وقال الفاكهي: ولم يكن بمكة يومئذ ماء يشرب إلا زمزم، وبئر ميمون قال الله عز وجل: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)**[٧٨].

فقال: والله أعلم: إن تلك الآبار كانت تغور فيذهب ماؤها "فمن يأتيكم بماء معين" وزمزم ماؤها معين[٧٩].

وهو من أكبر آبار مكة بعد بئر زمزم، حتى أن الناس كانوا يعتمدون عليه في أمدادهم بالمياه، وقال بعض الشعراء في بئر ميمون:

يا بئر ميمون قد هيجت لي طربا يا ليت ميمون لم تحفر له بير

فلو تراها وقد جاد الربيع بها وأنبتت من أفانين وتنوير

يا بئر ميمون لا أخطتك غادية تغدو عليك بمسح غير مبرور

وقال آخر:

إلى بئر ميمون فما حاز حوزها إلى شعب عثمان فاستقي مقيصرا[٨٠].

وقال الفاسي: وبئر ميمون بن الحضرمي أخي العلاء بن الحضرمي، وهي التي الآن – يقصد في زمنه – بالسبيل المعروف بسبيل الست، بطريق منى، وممن عمرها المظفر صاحب إربل في سنة أربع وستمائة على ما وجدت بخط عبد الرحمن بن أبي حرمكي المكي في حجره بهذه البئر يتضمن عمارة صاحب إربل لها، وعرفها ببئر ميمون بن الحضرمي، ورأيت لبعضهم ما يقتضي أن بئر ميمون بطريق مر الظهران، وهو وهم[٨١].

نقل الأزرقي عن محمد بن جبير، قوله: فلما حفرت بنو عبد مناف آبارها، سقوا الناس، فاستقى الناس عليها شق ذلك على قبائل قريش، ورأوا أنه لا ذكر لهم في تلك الآبار، حفرت قبائل قريش آباراً، وجعلوا يتبارون بها في الري والعذوبة، حتى كاد أن يكون في ذلك شر طويل، فمشت في ذلك كبراء قريش، فأقصر الشر.

٢٤- بئر زمزم

أشهر بئر على وجه الأرض، لمكانته الروحية المتميزة، وارتباطه في وجدان المسلمين عامة بمشاعر الحج والعمرة.

وهي البئر المباركة التي فجرها جبريل عليه السلام لإسماعيل وأمه عليهما السلام، حيث تركهما خليل الله إبراهيم عليه السلام في ذلك الوادي القفر، الذي لا زرع فيه ولا ماء، فنفد ما معهما ن زاد وماء، وجهدت هاجر وأتعبها البحث، ساعية بين الصفا والمروة، ناظرة في الأفق البعيد علها تجد مغيثاً يغيثها، فلما يئست من الخق أغاثها الله عز وجل بفضله ورحمته.

وإليها يرجع الفضل في إعمار مكة وسكناها، حيث كانت بلدة بلا زرع ولا ماء، قال الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**)[٨٢].

قال الفاكهي: وكان بعضهم يأخذ على بئره الأجر من بعض الناس – يقصد أصحاب الآبار التي يستقون منها في مكة – فلما حفر عبد المطلب: زمزم ترك الناس أو عامتهم تلك الآبار، وأقبلوا على زمزم لمكانها من البيت، ولأنها بئر إسماعيل عليه السلام ابن خليل الله إبراهيم صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم ولفضل مائها على سائر المياه من العذوبة والكثرة[٨٣].

فضل ماء زمزم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته مستعيذا عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه، قال: وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم أسألك علما نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٨٣].

قال الشوكاني: قوله: "ماء زمزم لما شرب له" فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة، لأن (ما) في قوله: "لما شرب له" من صيغ العموم[٨٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطُعم، وشفاء السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال بها[٨٦].

وطعام الطُعم، أي يشبع الإنسان من مائها إذا شربه، كما يشبع من الطعام إذا أكله. وشفاء السقم: أي يزيل المرض، ويبرئ العلة.

وعن مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أراد أن يتحف رجلاً بتحفة سقاه من ماء زمزم[٨٧]. ففي ذلك دلالة على أن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكرمون الضيف بسقياهم زمزم.

يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه): لقد لبثت ثلاثين ليلة ويوماً، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسر عكن بطني (أي انطوت ثنايا البطن من السمنة) وما وجدت على كبدي سخفة جوع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنها مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم، رواه مسلم في الصحيح عن هداب بن خالد[٨٨].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن ماء زمزم: سيد المياه وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمناً، وأنفسها عند الناس. وقد جربت، أنا وغيري، من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأن بأذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف شهر أو أكثر، ولا يجد جوعا[٨٩]، ويطوف مع الناس كأحدهم[٩٠].

سبب تسميتها:

سميت بئر زمزم بهذا الاسم لكثرة مائها، وقيل: لاجتماعها، لأنه لما فاض منها الماء على وجه الأرض قالت هاجر للماء: زم زم، أي: اجتمع، فاجتمع، فسميت زمزم.

قال النووي: وأما زمزم فهي البئر المشهورة في المسجد الحرام، بينها وبين الكعبة ثمان وثلاثون ذراعاً، قيل: سميت زمزم لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم، وزمزم، وزمازم: إذا كان كثيراً، وقيل: لضم هاجر رضي الله عنها لمائها حين انفجرت، وزمها إياه، وقيل: لزمزمة جبريل عليه السلام، وكلامه عند فجره إياها، وقيل: أنها غير مشتقة، ولها أسماء أخر ذكرتها في تهذيب اللغات، مع نفائس أخرى تتعلق بها منها: أن عليا رضي الله عنه قال: "خير بئر في الأرض زمزم، وشر بئر في الأرض برهوت" والله أعلم[٩١].

كيف ظهر ماء زمزم:

روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقاً لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفي إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آلله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**) حتى بلغ (**يَشْكُرُونَ**).

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبي (صلى الله عليه وسلم): فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمت أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبة أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال بن عباس قال النبي (صلى الله عليه وسلم): يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائقاً فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم، قال ابن عباس قال النبي (صلى الله عليه وسلم): فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم... إلى آخر الحديث، وهو حديث مطول أخرجه البخاري في صحيحه[٩٢]. وكانت زمزم هي مقدمة العمران بمكة، فقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة، والطبري في تاريخ الرسل الملوك: أن ركباً من (جرهم) مروا من بلاد الشام، فرأى الركب الطير على الماء، فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس، فأرسلوا رجلين لهما حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها، فرجع الركب كله ونزلوا على الماء بعد استئذان إم إسماعيل[٩٣].

وأخذ العمران يزداد بمكة بعد بناء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام البيت الحرام، واستمرت جرهم تلي أمر البيت الحرام وزمزم فترة من الزمن إلى أن قدمت قبيلة يمنية هاجرت من الجنوب بعد تهدم (سد مأرب)، وهي قبيلة خزاعة. وتقاتلت خزاعة مع جرهم وانتصرت خزاعة ووليت أمر البيت، وخرجت جرهم عن وادي مكة ومنها خرج أبناء إسماعيل، وتفرقوا في تهامة[٩٤].

ثم ولى أمرها بعد ذلك قصي بن كلاب في القرن الخامس الميلادي بعد أن أجلى خزاعة من مكة، وفرض سلطانه على كنانة، وأنزل قريشا مكة وقسمها بين بطونها[٩٥] — أي بين أقسام قبيلة قريش-.

وكانت زمزم في تلك الأثناء قد أهملت إلى أن درست واختفت معالمها، وظلت على ذلك حينا حتى حفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (صلى الله عليه وسلم).

قال الأزرقي: فأما السقاية فإنها كانت بيد عبد مناف، وكانت حياض من أدم، وكانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة، ويستقي فيها الماء العذب من بئري: كر آدم، وخم، على الإبل في المزاد والقرب، ثم يسكب ذلك الماء في تلك الحياض، ويسقاه الحاج(٩٦).

ما ذكره المؤرخون عن بئر زمزم:

ذكر الفاكهي خبراً أن الخليل عليه السلام حفر زمزم وقصته كانت بينه وبين ذي القرنين في زمزم لأنه قال: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومي قال: حدثنا سعيد بن سالم قال: حدثنا عثمان بن ساج قال: بلغنا في الحديث المأثور عن وهب بن منبه قال: كان بطن مكة ليس فيه ماء وليس لأحد فيه قرار حتى أنبط الله تعالى لإسماعيل عليه السلام زمزم فعمرت يومئذ مكة وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يقال لها جرهم، وليست من عاد كما يقال، ولولا الماء الذي أنبطه الله تعالى لإسماعيل عليه السلام من عمارة بيته لم يكن لأحد بها يومئذ مقام.

قال عثمان: وذكر غيره أن زمزم تدعى سابق، وكانت وطأة من جبريل، وكانت سقياها لإسماعيل يوم فرج له عنها جبريل عليه السلام وهو يومئذ وأمه عطشانان فحفر إبراهيم عليه السلام بعد ذلك البئر، ثم غلبه عليها ذو القرنين، فقد كان سأل إبراهيم أن يدعو الله له، فقال: كيف وقد أفسدتم بئري، فقال ذي القرنين: ليس عن أمري كان، ولم يخبرني أحد أن البئر بئر إبراهيم، فوضع السلاح، وأهدى إبراهيم إلى ذو القرنين بقراً وغنماً، فأخذ إبراهيم عليه السلام سبعة أكبش فأقرنهم وحدهم، فقال ذو القرنين: ما شأن هذه الأكبش يا إبراهيم؟ فقال إبراهيم: هؤلاء يشهدون لي يوم القيامة أن البئر بئر إبراهيم(٩٧).

حفر عبد المطلب لبئر زمزم:

وكان حفر عبد المطلب لزمزم عقب حادثة الفيل بعد أن رأى في منامه هاتفاً: احفر زمزم، فلما استيقظ عبد المطلب، ذهب إلى المسجد الحرام، وحفر هناك فجاءته قريش: فقال له: ما هذا الصنيع، لم تحفر في مسجدنا؟ فقال عبد المطلب: إني حافر هذه البئر، ومجاهد من صدني عنها، فطفق هو وابنه الحارث وليس له ولد يومئذ غيره، فسفه عليهما يومئذ أناس من قريش، فنازعوهما وقاتلوهما، وتناهى عنه أناس آخرون لما يعلمون من عتاقة نسبة حتى اشتد عليه الأذى، فنذر إن رزق بعشرة من الولد أن ينحر أحدهم، ثم استمر الحفر حتى أدرك سيوفاً ذهبية في زمزم، فلما رأت قريش السيوف قالت له: يا عبد المطلب أجزنا ما وجدت فقال: هذه السيوف لبيت الله الحرام، فحفر حتى خرج الماء في أسفل الحفرة.

ثم تزوج عبد المطلب حتى ولد له عشرة ذكور فهم بنحر أحدهم، وأصابت القرعة عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وسلم) فكرروا القرعة ثلاث مرات إلى أن افتدى عبد الله بمائة ناقة، بعد أن أشار عليه بذلك أخواله بنو مخزوم[٩٨].

قال الفاكهي: وكان أول ما ابتدأ به عبد المطلب من أمرها وهو نائم في الحجر كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الله بن زرير الغافقي، قال: أنه سمع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت، فقال: احفر طيبة. فقلت: وما طيبة؟ ثم ذهب عني فرجعت إلى مضجعي، فنمت الغد، فجاءني فقال: احفر برة. قلت وما برة؟ ثم ذهب عني فلما كان الغد، رجعت إلى مضجعي، فنمت، فجاءني، فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف ولا تدم، تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم[٩٩] عند قرية النمل، قال: فلما تبين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه صدق غدا بمعوله، ومعه الحارث بن عبد المطلب، ليس معه ولد غيره، فلما بدا لعبد المطلب الطوى كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته قاموا وقالوا: يا عبد المطلب ميراثنا من أبينا

إسماعيل، وإن لنا فيها شركاً فأشركنا معك فيها قال: ما أنا بفاعل، إن هذا أمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم، قالوا: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نحاكمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إلى كاهنة بني سعد بن هذيم؟ قالوا: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب في نفر من بين أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة نفر. قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه وظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفاوز، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم تخوف على نفسه وأصحابه، وقال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت.

قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته وواروه حتى يكون آخركم رجلاً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً.

قالوا: نعم ما أمرتنا به، فقام كل رجل منهم حفر حفرة له، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه، والله إن إلقاءنا بأيدنا هلكا للموت لا نضرب في الأرض ونستبق أنفسنا لعجز، فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء، فقد سقانا الله فاشربوا واسقوا فشربوا ثم قالوا: والله قضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك وإنه بدا له فرجعوا و لم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها[١٠٠].

وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قيل لعبد المطلب حين أمر بحفر زمزم:

ادع بالماء الرواء غير الكدر

سقيا الحجيج في كل مبر

ليس يخاف فيه شيء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش، فقال أتعلمون أني قد أمرت أن أحفر زمزم؟ قالوا: فهل بين لك أين هي؟ قال: لا. قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقاً من الله بين لك وإن يكن من الشيطان لم يعد لك.

فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه، فأتى. فقيل له: احفر زمزم وإن حفرتها لم تندم وهي تراث أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تذم، تروي الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل لم يقسم، ينذر غيها ناذر ليغنم، تكون ميراثاً وعقداً محكم، ليس كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم، زعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً، قال: فالله أعلم أي ذلك كان، وغدا عبد المطلب ومعه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: أساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر.

فقالت قريش حين رأوه وحده: والله لا ندعك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما. فقال لأبنه الحارث: دعني أحفر فوالله لأمضين لما أمرت فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطي، فكبّر، وعرف أنه قد صُدق[١٠١].

فلما أتم الحفر وجد في البئر غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذين كانت جرهم دفنتهما حين أخرجت من مكة، ووجد أيضاً أسيافاً مع الغزالين. فقالت له قريش: لنا معك يا عبد المطلب في هذا شرك وحق. قال: لا. ولكن هلم إلى النصف بيني وبينكم أضرب عليها بالقداح، قالوا وكيف تصنع؟ قال: اجعل للكعبة قدحين، ولي قدحين ولكم قدحين، ثم اضرب

فمن خرج له شيء كان له، فقالوا: أنصفت قد رضينا، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش. ثم أعطوهما رجلاً يضرب بها فقال عبد المطلب يدعو ويقول:

اللهم أنت الملك المحمود	وأنت ربي المبدي المعيد
وممسك الراسية الجلمود	من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألمت لما تريد	بموضع الحلية والحديد
إني نذرت عاهد العهود	فاجعله يا رب فلا أعود

قال: وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، فضربهما عبد المطلب في باب الكعبة، فكان أول ذهب حليته الكعبة، وخرج الأسودان على السيوف لعبد المطلب فأخذهما وكانت قريش ومن سواهم إذا اجتهدوا في الدعاء سجعوا وألفوا الكلام، وكانت فيما يزعمون لا يردها داع، ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج[١٠٢].

أسماء ماء زمزم:

زمزم بفتح الزاي وسكون الميم وتكرارهما قيل سميت زمزم لكثرة مائها، وقيل إن هاجر قالت عندما انفجر ماء زمزم: زم زم، بصيغة الأمر أي أنم وزد كما قيل أيضاً، إنها سميت بذلك لأن الفرس في زمن الأول كانت تأتي زمزم فتزمزم عندها قد تعددت أسماء زمزم وهو ما يدل على علو الشأن:

ويقول الفاكهي: أعطاني أحمد بن محمد بن إبراهيم كتاباً ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة فكتبته من كتابه، فقالوا: هذه تسمية أسماء زمزم. هي: زمزم، وهي: هزمة جبريل (عليه السلام)، وسقيا إسماعيل (عليه السلام)، لا تترف ولا تذم، وهي بركة، وسيدة، ونافعة، ومضنونة، وعونة، وبشرى، وصافية، وبرة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذية، وطاهرة، ومقداة، وحرمية، ومروية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم[١٠٣].

وأضاف غيره لزمزم أسماء أخرى، فهي: زمزم، وزمم، زميزم، زمازم، ركضة جبرائيل، هزمة جبرائيل، هزمة الملك، سقيا الله لإسماعيل (عليه السلام)؟ الشباعة، شباعة، برة، مضنونة، تكتم، شفاء سقم، طعام طعم، شراب الأبرار، طعام الأبرار، ظبية، كافية، مؤنسة.

فهي:

زمزم: لصوت الماء فيها أو لكثرة مائها، يقال ماء زمزم أي كثير، أو لزمزمة جبريل وكلامه[١٠٤].

ظبية: بالظاء المعجمة والباء الموحدة على مثل واحدة الضبيات. سميت بها تشبيهاً لها بالظبية وهي الخريطة لجمعها ما فيها[١٠٥].

نافعة: لنفعها للمؤمنين بشرى.

طيبة: سميت به لأنه للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، قال السهيلي[١٠٦].

برة وعصمة: لأنها شراب للأبرار وغاصت عن الفجار[١٠٧] ، قال الأزرقي: إنها لفي كتاب الله برة[١٠٨].

سيدة: لأنها سيدة جميع المياه.

مضنونة: لأنها ضن بها على غير المؤمنين، فلا يتضلع منها منافق قاله: وهب بن منبه، وقال الأزرقي: إنها لفي كتاب الله مضنونة[١٠٩].

حرمية: لوجودها بالحرم.

شبعة للعيال: لأن أهل العيال في الجاهلية كانوا يغدون بها عيالهم فينيخون عليها فتكون صبحاً له، وقد أورد الفاكهي قول ابن عباس رضي الله عنهما: كنا نسميها شباعة، تعم العون على العيال[١١٠].

عونة: سميت به لكونهم كانوا يجدونها عوناً على عيالهم، روى الأزرقي بسنده عن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) قال: تنافس الناس في زمزم في الجاهلية حتى إن كان أهل العيال يغدون بعيالهم فيشربون منها، فتكون صبوحاً لهم، وقد كنا نعدها عوناً على العيال(١١١).

سُقيا الله إسماعيل: لكون مكة لم يكن بها ماء فسقاه الله بها، قال الأزرقي: وأول من سقي ماءها إسماعيل عليه السلام(١١٢).

بركة: بفتح الراء وما قبلها.

معذبة: بسكون العين وكسر ما بعدها من العذوبة لأن المؤمن إذا تضلع منها يستعذبها ويستحلي طعمها، كأنها حليب على ما هو ظاهر.

طاهرة: لعدم وضعها في جوف غير المؤمن، وعدم وصولها في أيدي الكفرة، أو لأن الله طهرها بقوله:"(**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**) (١١٣).

مروية: لأنها تسري في جميع أعضاء البدن فيتغذى منها كما يتغذى من الطعام.

سالمة: لأنها لا تقبل الغش.

هزمة جبريل: قال الأزرقي: والهزمة: الغمزة بالعقب في الأرض، وزمزم: شقت من الهزمة(١١٤).

ميمونة: من الميمنة وهي البركة والسنة.

مباركة: لأن ماءها لا ينفد أبدا لو اجتمع عليه الثقلان و لم يترح.

كافية: لأنها تكفي عن الطعام وغيره.

عافية: لأن من شرب منها لا يهزل.

طعام طعم: لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديث إسلام أبي ذر أنها مباركة: أنها طعام طعم[١١٥].

مؤنسة: لأنس أهل الحرم بها.

شفاء سقم[١١٦]: لأن الإنسان إذا أصيب بمرض بمكة المكرمة فدواؤه ماء زمزم مع نيته الصالحة.

تكتم: فقد رأي عبد المطلب في منامه: "احفر تكتم" [١١٧].

فوائد شرب ماء زمزم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تستشفي به، شفاك الله، وإن شربته مستعيذا، عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك، قطعه"، قال: وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم أسألك علما نافعاً، ورزقا واسعاً، وشفاء من كل داء[١١٨].

وعند الدارقطني عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله، وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل"[١١٩].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق"[١٢٠].

والتضلع: هو أن تشرب حتى لا يبقى للماء مكان تستطيع الإضافة إليه، وهو من علامات الإيمان.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم"[١٢١].

وعن ابن خيثم قال: قدم علينا وهب بن منبه فاشتكى فجئناه نعوده فإذا عنده من ماء زمزم قال: فقلنا له: لو استعذبت فإن هذا الماء فيه غلظ. قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره، والذي نفسي بيده أنها لفي كتاب الله تعالي: (زمزم لا تترف ولا تذم)، وإنها لفي كتاب الله (بره، شراب الأبرار) وإنها في كتاب الله: (مضنونة) وإنها لفي كتاب الله تعالى: طعام طعم وشفاء سقم، والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت منه داء وأحدثت له شفاء(١٢٢).

فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث (ماء زمزم لما شرب له)، وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها، فقد ورد عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه شربه للعلم والفقاهة، فكان أفقه زمانه.

قال أبي البقاء محمد بن الضياء المكي الحنفي: "وقد شربه جماعة من العلماء والصالحين لمقاصد جليلة، وحوائج جزيلة فنولوها: من ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه شربه للعلم فكان فيه غاية، وشربه للرمي فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة(١٢٣).

من كان عشرة تسعة، وشربه أبو عبد الله الحاكم لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً.

آداب شرب ماء زمزم:

أخرج الحاكم عن عثمان بن الأسود قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال من أين جئت؟ فقال: شربت من زمزم، فقال له ابن عباس: أشربت منها كما ينبغي؟ قال: وكيف ذاك يا أبا عباس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا، وتضلع منها، فإذا فرغت منها فاحمد الله، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "آية بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم" وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه (١٢٤).

بركته وفضله:

اجمع العلماء على أن ماء زمزم أفضل من جميع المياه على الإطلاق، وقد ورد في فضل وبركة ماء زمزم أحاديث نبوية كثيرة وروايات عن الصحابة (رضي الله عنهم) والسلف الصالح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أبو ذر (رضي الله عنه) يحدث أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغهما في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، قال من هذا قال: جبريل[١٢٥].

وقصة أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) التي ذكرتها سالفاً بمكوثه ثلاثين ليلة لم يكن له من طعام إلا زمزم لغير دليل على فضلها.

وقالت أم أيمن حاضنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أنه (صلى الله عليه وسلم) ما اشتكى جوعاً قط، ولا عطشاً، كان يغدو إذا أصبح، ويشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغذاء فيقول: أنا شبعان[١٢٦].

حكم نقل الماء خارج مكة:

ذكر الإمام الفاسي بأنه يجوز نقل ماء زمزم إلى خارج مكة في اتفاق المذاهب الأربعة بل هو مستحب عن المالكية والشافعية.

عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يفعله، ورواه غيره عن أبي كريب وزاد فيه حمله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأداوي والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم[١٢٧].

وعن عطاء أن كعب الأحبار كان يحمل معه من ماء زمزم ويتزوده إلى الشام.

قال الفاكهي: حدثني أبو العباس، أحمد بن محمد عن خلاد الجعفي، قال: حدثنا زهير، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: إن عائشة – رضي الله عنها – حملت من ماء زمزم في القوارير للمرضى، وقالت حمله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأدواء والقرب وكان يصبه على المرضى ويسقيهم[١٢٨].

كما ذكر الفاكهي أيضاً قال: حدثني أبو العباس عن حسن بن الربيع، عن مسلم أبي عبد الله، عن الحسن الجفري، عن حبيب قال: قلت لعطاء: آخذ من ماء زمزم؟ قال: نعم، قد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحمله في القوارير، وحنك به الحسن والحسين رضي الله عنهما بتمر العجوة[١٢٩].

واستناداً إلى تلك النصوص فإن حكومة المملكة العربية السعودية كلفت الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بنقل ماء زمزم لسقيا زوار مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المنورة.

قياس بئر زمزم:

اهتم كثير من السابقين بذرع زمزم من علوها إلى قاعها وسعتها وما فيها من العيون[١٣٠].

يقول الأزرقي: كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعاً، وفي قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة، ثم ان قد قل ماؤها جداً حتى كانت تجم في سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ومائتين، فضرب فيها تسعة أذرع سحا في الأرض في تقوير جوانبها ثم جاء الله بالأمطار والسيول في سنة خمسة وعشرين ومائتين فكثر ماؤها، وقد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها، في خلافة هارون الرشيد أمير المؤمنين أذرعاً، وكان قد ضرب فيها في خلافة المهدي أيضا، وكان عمر بن ماهان – وهو على البريد والصوافي – في خلافة الأمين محمد بن الرشيد قد ضرب فيها وكان ماؤها قد قل حتى

كان رجل يقال له: محمد بن مشير من أهل الطائف يعمل فيها فقال: "أنا صليت في قعرها فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعا ذلك كله بنيان وما بقي فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعا[١٣١].

وذرع حبك زمزم في السماء ذراعان وشبر. وذرع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعا. وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع وثلثا ذراع.

وعلى البئر ملبن [١٣٢] ساج مربع فيه اثنتا عشرة بكرة يسقى عليها[١٣٣] .

وقال الإمام الفاسي: وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضوري ارتفاع فم زمزم عن الأرض وسعته وتدويره، فكان ارتفاع فمها في السماء ذراعين إلا ربعا، وسعته أربعة أذرع ونصف، وتدويره خمسة عشر ذراعا إلا قيراطين، كل ذلك بذراع الحديد المشار إليه[١٣٤] .

وروى ياقوت الحموي في معجم البلدان عن محمد بن أحمد الهمذاني أنه قال: وكان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعا وفي قعرها ثلاث عيون، عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وأخرى حذاء المروة، ثم قل ماؤها جدا حتى كانت تجم وذلك سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ فحفر فيها محمد بن الضحاك، وكان خليفة عمر بن فرج الرخجي على بريد مكة وأعمالها تسعة أذرع، فزاد ماؤها واتسع، ثم جاء الله بالأمطار والسيول سنة ٢٢٥ فكثر ماؤها. ثم قال وذرعها من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذاعاً، وهو مطوي والباقي فهو منقور في الحجر، وهو تسعة وعشرون ذراعاً، وذرع تدويرها أحد عشر ذراع وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع[١٣٥] .

ويلاحظ هنا وجود فرق في ذرع زمزم بين الأزرقي والفاسي والهمذاني، ويرجع ذلك إلى اختلاف الأذرع التي قاسوا بها البئر وطول الزمن الذي بينهم تعرضت خلاله البئر لحوادث وطوارق من طم وحفر وعمارة وإصلاح وتغيير[١٣٦] .

أما عن العيون الثلاث التي ذكر الأزرقي وجودها في قعر زمزم فقد ذكر الفاكهي أن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) قال لكعب الأحبار: فأي عيونها أغزر؟ قال العين التي تخرج من قبل الحجر قال صدقت.

وروي البيهقي والدارقطني في سننهما عن ابن سيرين أن زنجيا وقع في بئر زمزم فمات، فأمر به ابن عباس فأخرج، وأمر بها أن تنزع فغلبتهم عين جاءت من الركن، فأمر بها قدمت بالقباطي والمطارف ونحوها حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم[١٣٧] .

وأخرج الطحاوي في شرح معاني الآثار، وابن شيبة بإسناد صحيح عن عطاء: إن حبشيا وقع في زمزم فمات. فأمر عبد الله بن الزبير بنزح مائها فجعل الماء لا ينقطع، فنظر فإذا عين تجرى من قبل الحجر الأسود فقال ابن الزبير حسبكم[١٣٨] .

الباحثة / د. نعيمة بنت عبد الله بن دهيش

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

الهوامش

(١) سورة الأنبياء: آية:٣٠.

(٢) سورة النحل: الآيات: ٩-١١.

(٣) سورة ق: آية:٩.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٦٤.

(٥) سورة الروم: آية: ٢٤.

(٦) سورة الأنبياء: آية: ٣٠.

(٧) سورة الأعراف: الآيات: ٤٩-٥١.

(٨) سورة هود: الآيات: ٤٠-٤٤.

(٩) سورة القمر: الآيات: ٩-١٧.

(١٠) سورة الأنفال: آية:١١.

(١١) سورة الفرقان: آية:٤٨.

(١٢) سورة المائدة: آية:٦.

(١٣) سورة الأنعام: آية: ٩٩.

(١٤) سورة فاطر: آية: ٢٧.

(١٥) صحيح مسلم: ج١ ص٤٦٣ حدث رقم (٦٦٨).

(١٦) صحيح مسلم: ج١ ص٢٥٨ حدث رقم (٣٢٦).

(١٧) سنن ابن ماجه: ج١ ص١٤٧ حديث رقم (٤٢٥).

(١٨) سورة إبراهيم: آية٣٧.

(١٩) أنظر: أخبار مكة للأزرقي، ٨٣٧/٢.

(٢٠) الكُر: البئر أو الحسى أو موضع يجمع فيه الماء، وآدم أو أدام: روادي تهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة، وهو على طريق السرين، وكر آدم: بئر علي يمين الذاهب إلى منى. وهو

حديث إسناده ضعيف جداً، فيه: عبد العزيز بن عمران، متروك، (أنظر: التقريب، ص: ٣٥٨)، وهذه الرواية ذكرها الفاكهي (٩٦/٤). وقال الشيخ عبد الملك بن دهيش في تعليقه على كلام الأزرقي في أخبار مكة: ١٨١/١: (يقع بئر كر آدم في شعب حواء، وهو الشعب الصغير الذي يفرع من دقم ال وبر إلى جهة العزيزية، ولا وجود لشعب في هذه المنطقة سواه، ويمر فيه مجرى عين زبيدة القديم)، أما البئر، فيقول ابن دهيش: (إنه أدركها في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري، ولا يعلم عنها شيئا في الوقت الحاضر).

(٢١) أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ٩٦/٤.

(٢٢) أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ٩٧/٤، وفتوح البلدان للبلاذري: ٥١/١.

(٢٣) رواه الأزرقي في أخبار مكة، وقد رواه عن ثقة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ٨٣٧/٢.

(٢٤) أخبار مكة للفاكهي: ١٩٨/٤، والميثب بأسفل مكة، وذكره الفاسي في آبار أسفل مكة فقال: وبئر بالشعب الذي يقال له (خم)، وشعب خم هو موضع بركة ماجن بالمسفلة.

(٢٥) قال الشيخ ابن دهيش في تعليقه على كتاب أخبار مكة للأزرقي: ١/١/١: (أن بئر خم لا زالت قائمة إلى اليوم، وهي على يسار الخارج من مكة بعد التقاء طرق: ريع كدي، وريع بخش، وأنفاق باب الملك، وموضعها قرب التقاء الطريق الدائري الثالث، وتقع الآن ضمن أسوار حجز السيارات بكدي، وهي دون الميثب، وقد أقيمت عليها حجرة صغيرة مبنية حديثا، وعليها مضخة ماء، وتطلق لفظة خم على الغدير الذي عند الجحفة، وعلى شعب خم الذي هو عند بركة ماجن، وعلى بئر حفرها عبد شمس في البطحاء، وعلى بئر عند ردم بني جمح).

(٢٦) يقصد ردم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وسيأتي ذكره بعد قليل.

(٢٧) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٣٧/٢، وأخبار مكة للفاكهي: ٩٨/٤.

(٢٨) قال الدكتور عبد الملك بن دهيش محققا موضع هذه البئر بقوله: "وهذه البئر تقع قبلة مسجد الجودرية في زقاق ضيق كان بين قبلة المسجد والدار التي أمامه، وهذا الزقاق نافذ إلى شارع الغزة، وكانت البئر لاصقة بأصل جدار الدار التي في قبلة المسجد، وقد دثرت هذه البئر اليوم" أنظر أخبار مكة للفاكهي ٩٨/٤.

(٢٩) أنظر: أخبار مكة للأزرقي، ٨٤٢/٢، وأخبار مكة للفاكهي في : ١٠٤/٤، وفتوح البلدان اللبلاذري: ص٦٤.

(٣٠) أنظر: أخبار مكة للأزرقي، ٨٤٢/٢، وأخبار مكة للفاكهي (١٠٤/٤).

(٣١) العجول: مأخوذ من العجلة ضد البطء، وهي بئر حفرها قصي بن كلاب قبل خم، وقيل: حفرت قصي ركبة، فوسعها في دار أم هانئ بنت أبي طالب اليوم بمكة فسماها: العجول (معجم البلدان ٨٧/٤).

(٣٢) الحزورة: عند باب الوداع.

(٣٣) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ١٨١/١، ٨٣٨/٢، والفاكهي في أخبار مكة: ٩٧/٤.

(٣٤) أنظر: معجم البلدان ٨٧/٤.

(٣٥) أنظر: شفاء الغرام للفاسي: ١٤٢/٢.

(٣٦) قام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بردم منطقة السيل من دار أبان بن عثمان إلى دار ببه، على ما ذكره الفاكهي، وقد حدد الشيخ عبد الملك بن دهيش موضع دار ببه وذلك بقوله تعليقا على كلام الفاكهي: بأن دار ببه هي الدار الرابعة من سلسلة الدور الست المتطورة التي كان يملكها معاوية (رضي الله عنه)، وهي بالقرب من مسجد الفاتحة، وهو المسجد الصغير الواقع في أعلى المدعى، على يمين النازل إلى الحرم في السوق المسقوف المزدحم. وأما دار أبان بن عثمان فإن موقعها بالقرب من مسجد الراية، وهو المسجد المقابل لفم شعب بني عامر في الجودرية، وعلى ذلك فإن ردم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يمتد طولا من قرب مسجد الراية إلى المسجد الفاتحة، ولا يزال يلاحظ

الهابط للحرم أو الصاعد منه ارتفاعا واضحا بين هذين المسجدين، وقد كان لهذا الردم أثره الكبير في تغيير مجرى السيل الذي حمى جميع الدور الواقعة أسفله من أخطار السيول، وكان سبب هذا الردم السيل الكبير الذي يؤدي بحياة أم نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية، والتي جرفها السيل، فاستخرجت منه بأسفل مكة، كما اقتلع مقام إبراهيم من مكانه. أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ١٠٥/٣، ١١٢.

(٣٧) شفاء الغرام للفاسي: ١٤٢/٢.

(٣٨) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ١٨٢/١، ٨٣٨/٢، وأخبار مكة للفاكهي (٩٧/٤-٩٨)، وشفاء الغرام للفاسي: ٨٩/٢. وقال الشيخ ابن دهيش في تعليقه على كلام الأزرقي: كانت تسمى (بئر جبير بن مطعم) والبئر العليا، واليوم تعرف بـ (بئر الدشيشة بالكمالية) لكونها بالقرب منها، والبحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥.

(٣٩) أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ٩٨/٤.

(٤٠) قال ابن دهيش واصفا مكان هذه البئر: أن موقعها في ملتقى شارع الصفا مع شارع سوق الليل في أول ميدان الغزة، ويمكن تحديده بأنه في نهاية مكتبة مكة، إلي خلف عمائر الجفالي، وقد غمره العمران حاليا. أنظر هامش أخبار مكة للفاكهي: ٩٨/٤، ١٣٦.

(٤١) المستنذر: جبل مشرف على حق أبي لهب، وحق إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، وهكذا اسمه في الجاهلية، وفي زمن الفاكهي اسماه: الجبل الأبيض. أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ١٣٦/٤، وأنظر: شفاء الغرام للفاسي: ١٤٢/٢، وقد أسماها المسور.

(٤٢) أنظر: سيرة ابن هشام: ١/١ ٥٦، وأخبار مكة للأزرقي: ٢/١، ٨٣٩/١٨١، وأخبار مكة للفاكهي: ٩٨/٤-٩٩، وشفاء الغرام للفاسي: ٨٩/٢-٩٠، وفتوح البلدان للبلاذري ص: ٦٥.

(٤٣) تقصد بئر أم أحراد التي حرفتها بنو عبد الدار.

(٤٤) أخبار مكة للفاكهي: ١١٢/٤.

(٤٥) أخبار مكة للفاكهي: ٩٩/٤، ١٠٨.

(٤٦) أنظر: سيرة ابن هشام: ١٥٧/١، والبحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥، وسجلة: مشتقة من السجل وهو: الدلو إذا كان فيه ماء، قلّ أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة سجل، وقد كانت برباط السدرة المعروفة اليوم (برباط قايتباي)، وكانت تسمى هذه البئر أيضا (بئر بني نوفل).

(٤٧) شفاء الغرام (٥٤٢/١).

(٤٨) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٣٩/٢، والفاكهي في أخبار مكة: ٩٩/٤.

(٤٩) أخبار مكة للفاكهي: ٩٩/٤، والسيرة لابن هشام: ١٥٧/١، وفتوح البلدان للبلاذري (ص:٦٥)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي: ١٩٣/٣، وشفاء الغرام (٩٠/٢).

(٥٠) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ١٨٢/١، ٨٤٠/٢، والفاكهي في أخبار مكة: ٩٩/٤-١٠٠، وشفاء الغرام للفاسي: ٥٤٣/١، والبلاذري في فتوح البلدان (ص:٦٥).

(٥١) أنظر: أخبار مكة للفاكهي: ١٠٩/٤.

(٥٢) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ١٨٣/١، وشفاء الغرام: ١٤٢/٢-١٤٣، والبحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥.

(٥٣) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٠/٢، ٨٤٦، والفاكهي في أخبار مكة: ١٠٠/٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠. قال ابن دهيش معلقاً على ذلك: ودار ابن يوسف، هي: دار المولد النبوي، التي هي الآن مكتبة مكة المكرمة، التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية، وبقرب هذه الدار، على يسار الداخل إلى شعب على بئر قديمة مدت إليه مواسير عين زبيدة، وبني فوقها مسجد صغير قبل أكثر من أربعين عاما، فلعلها هي بئر الطوى، والله أعلم. والبطحاء: هي ما حاز السيل من الردم إلى الحناطين يمينا مع البيت. أنظر: معجم معالم الحجاز لعاتق بن غيث البلادي: ٢٢٩/١.

(٥٤) أخبار مكة للفاكهي: ١٠١/٤، وقد روى الفاكهي عجز البيتين بروايتين مختلفتين، ففي: ١٠٩/٤: (صوب السحاب عذوبة لا يترك) وأنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ٥١/٤، وفتوح البلدان للبلازري: ص٦٦.

(٥٥) الجفر: قال ابن منظور في لسان العرب: ١٤٣/٤ مادة (جفر): البئر الواسعة التي لم تعلو، وقيل: هي التي طوى بعضها ولم يطو بعض، والجمع جفار. وانظر: (معجم البلدان لياقوت الحموي: ١٤٦/٢).

(٥٦) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٠/٢، والفاكهي في أخبار مكة: ١٠١/٤.

(٥٧) أخبار مكة للفاكهي: ١١٠/٤.

(٥٨) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٠/٢، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠١/٤.

(٥٩) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٠/٢، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٢/٤. ودار أبان بن عثمان هذه على رأس ردم عمر، عند مسجد الجودرية، كانت هذه الدار بجانب الردم الأعلى الذي بناه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند مسجد الجودرية.

(٦٠) هي زبيدة، زوج الرشيد، ودارها كانت عند باب الخياطين، أي: مقابل باب إبراهيم الآن، وقد دخلت هذه الدار في توسعات المسجد الحرام.

(٦١) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤١/٢، ٨٤٥، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٢/٤.
والأسود الذي نسبت إليه شفية، هو: الأسود بن البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزي الأسدي.

(٦٢) أخبار مكة للفاكهي: ١١٠/٤.

(٦٣) بئر السنبلة: كانت في عهد الفاسي تسمى (بئر النبي) (صلى الله عليه وسلم) على ما أفاد به، ولعلها البئر التي أدخلت في المسجد الحرام، ويقال لها: (بئر الداودية) وموضعها بين باب إبراهيم وبين باب الوداع، لازالت قائمة في أقبية المسجد الحرام.

(٦٤) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤١/٢، ٨٤٥، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٣/٤.

(٦٥) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٥٤٦/١، وأنظر فتوح البلدان للبلاذري (ص:٦٦)، وسيرة ابن هشام: ١٥٨/١، ومعجم البلدان لياقوت: ٢٦١/٣.

(٦٦) أخبار مكة للفاكهي: ١١١/٤.

(٦٧) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤١/٢، ٨٤٥، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٣/٤. ولا وجود لهذه البئر اليوم، إذ أن جانب بني جمح، وهو الشق الغربي المطل على المسجد الحرام كله هدم.

(٦٨) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤١/٢، وقد أسماها (رمرم)، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٣/٤.

(٦٩) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٢/٢، ٨٤٥، وأخبار مكة للفاكهي (١٠٣/٤)، وسيرة ابن هشام: ١٥٨/١. قال البلاذري فتوح البلدان (ص:٦٦): الغمر، وهي بئر العاص بن وائل.

(٧٠) أخبار مكة للفاكهي: ١١٠/٤، ١١١.

(٧١) أخبار مكة للفاكهي: ١١٢/٤.

(٧٢) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤١/٢، ٨٤٥، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٧/٤، وفتوح البلدان للبلاذري (ص:٦٧)، وقال الشيخ ابن دهيش: ولا أعلم بئرا جاهلية بهذا الاسم إلا البئر التي عند بستان الخماشية المستأجرة من إدارة المياه. وهو سقيا عبد الله بن الزبير الواقعة على يمين النازل من عرفات على الطريق رقم (٧)، وقد اندثر البستان وبقيت البئر وآثاره، وعلى يمينك شعب يقال هو (شعب السقيا)، وعلى فم هذا الشعب بئر لا زالت قائمة إلى اليوم، أفاد الأزرقي والفاكهي أنها بئر جاهلية، نثلتها خالصة مولاة الخيزران، فعرفت ببئر (خالصة) وكانت تسمى (السقيا) فلعلها هي، والله أعلم.

(٧٣) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٥/٢، وأخبار مكة للفاكهي: ١٠٨/٤، وفتوح البلدان للبلاذري (ص:٦٧).

(٧٤) أخبار مكة للفاكهي: ١١١/٤.

(٧٥) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٦/٢.

(٧٦) اسم الحضرمي: عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك الحضرمي. وكان أبوه قد سكن مكة وحالف حرب بني أمية. وميمون: هو أخو العلاء، الصحابي الجليل الذي استعمله النبي (صلى الله عليه وسلم) على البحرين (أنظر: فتوح البلدان ص٦٥، ومعجم البلدان ٣٠٢/١).

(٧٧) أنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٤/٢، والبحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥.

(٧٨) سورة الملك: آية: ٣٠، وقال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٦١٦/١٤: "أخرج ابن المنذر والفاكهي عن ابن الكلبي، قال: نزلت هذه الآية (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) في بئر زمزم، وبشر ميمون بن الحضرمي، وكانت جاهلية. قال الفاكهي: وكانت آبار مكة تغور سراعاً".

(٧٩) أخبا مكة للفاكهي: (١٠٤/٤-١٠٥)، وفتوح البلدان (ص:٦٥).

(٨٠) هذه الأبيات في أخبار مكة للفاكهي (١٠٥/٤-١٠٦)، قال الشيخ ابن دهيش معلقاً على تلك الأبيات: وشعب عثمان: هو حي الروضة اليوم، وصدره أعلى بستان الجفالي، ومسيله يفرع في أصل جبل المنحنى، وكان يسمى (العيرة) ويقال قصر الملك فيصل، الذي هو مقر إمارة مكة حاليا. و(مقيصرا) اسم رجل، ويريد (حائط مقيصرة) وهو بستان كان يشغل أعلى مدخل الملاوي على الطريق العام الصاعد إلى منى، مقابل جبل سقر المشرف على حي الخنساء، وقد احتلت بئر ميمون أهمية كبيرة، فهي كانت البئر الثانية في مكة بعد زمزم، وبهما فسر جماعة من المفسرين قوله تعالى: (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) وقد احتل موضع بئر ميمون أيضا أهمية تاريخية، حيث غسل عنده الحجاج في قتاله لابن الزبير، وعنده مات أبو جعفر المنصور، وغسل بمائه. وقد حدد الحربي في

مناسك الحج والعمرة: ص٥٠٣ المسافة ما بين بئر ميمون والحرم بميلين أي (٧٠٠٠ ذراع)، باعتبار أن الميل (٣٥٠٠ ذراع)، وما بين البئر ومنى بميلين أيضا، كما حدد إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين: ١/٣٣٨-٣٣٩ المسافة ما بين باب بني شيبة بالحرم وبين سبيل الست الواقع عنده بئر ميمون بـ (٣٦٧٥ متراً) ويقول الشيخ ابن دهيش: أنه قام بقياس المسافة ما بين باب الصفا الأعلى وجبل العيرة الذي يوجد بجانبه البئر بـ (٣٥٠٠ مترا)، والسبب في أن بئر ميمون قد استحوذ على كل هذا الاهتمام من العلماء والمؤرخين هو ثروة مائة وعذوبته، وكونه في مفترق طرق مكة العليا، طريق منى مزدلفة وعرفات، ثم طريق نجد والعراق، ثم طريق الطائف، وقد أطلق بئر ميمون على اسم المنطقة المحيطة بالبئر.

(٨١) شفاء الغرام: ١/٥٤٨.

(٨٢) سورة إبراهيم: آية: ٣٧.

(٨٣) أخبار مكة للفاكهي: ٤/١٠٩.

(٨٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٦٤٦، حديث رقم (١٧٣٩)، وابن ماجه في سننه: ٢/١٠١٨، حديث رقم (٦٠٦٢). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ٣/٣٧٥. ٣٧٢.

(٨٥) نيل الأوطار للشوكاني: ٥/٨٨.

(٨٦) أخبار مكة للفاكهي: ٢/٤١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج١١، ص٩٨ (١١١٦٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/٢٨٦.

(٨٧) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة: ١/٤٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٢٣، وانظر: طبقات المحدثين بأصبهان، ج٢، ص٤٨.

(٨٨) أخرجه مسلم في صحيحه: ٤/١٩١٩-١٩٢٢ حديث رقم (٢٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه: ١٦/٧٧-٨٢ حديث رقم (٧١٣٣) والبيهقي في السنن الكبرى: ٥/١٤٧.

وسخفة الجوع: رقته وهزاله، وما ينشأ عن الجوع من ضعف وهزال. أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ج٢ ص٣٥٠، ولسان العرب لابن منظور: ج٩ ص١٤٦.

(٨٩) يدل على ذلك ما تقدم في نفس الصفحة، من حديث أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه).

(٩٠) زاد المعاد لابن قيم الجوزية: ٣٩٢/٤.

(٩١) شرح النووي على صحيح مسلم ج٨ ص١٩٤.

(٩٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ج٣ ص١٢٢٧-١٢٢٩ حديث رقم (٣١٨٤).

(٩٣) أخبار مكة للأزرقي: ١٠٢/١.

(٩٤) المرجع السابق: ١٥٥/١-١٥٧.

(٩٥) المرجع السابق: ١٧٣/١.

(٩٦) أخبار مكة للأزرقي: ١٧٧/١، ١٨٠ – ١٨١.

(٩٧) أخبار مكة للفاكهي: ٩/٢، وشفاء الغرام للفاسي: ٤٧/١، وهذا الحديث إسناده منقطع.

(٩٨) أخبار مكة للفاكهي: ١٣/٢.

(٩٩) الأعصم من الغربان: الذي في جناحيه بياض. أنظر: الروض الأنف: ١١٤/٢.

(١٠٠) أخبار مكة للفاكهي: ١٦/٢-١٧.

(١٠١) أخبار مكة للفاكهي: ١٨/٢-١٩، والسيرة النبوية لابن هشام: ١٥٨/١-١٥٩.

(١٠٢) أخبار مكة للفاكهي: ٢٠/٢-٢١، والسير والمغازي لمحمد بن إسحاق المطلبي: ص٢٧-٢٨، والسيرة النبوية لابن هشام: ١٥٥/١، والبداية والنهاية لابن كثير: ٢٤٦/٢.

(١٠٣) أخبار مكة للفاكهي: ٦٧/٢-٦٨.

(١٠٤) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥.

(١٠٥) قال ابن الأثير: في حديث زمزم قيل له: أحفر ظبية، قال: وما ظبية؟ قال: زمزم، سميت بها تشبيها بالظبية، وهي الخريطة لجمعها ما فيها: انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٥٥/٣، والبحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٠١/١.

(١٠٦) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٠١/١.

(١٠٧) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٠١/١.

(١٠٨) أخبار مكة للأزرقي: ٥٥٩/١، وأخبار مكة للفاكهي: ٣٤/٢، ومصنف عبد الرزاق: ١١٨/٥.

(١٠٩) أخبار مكة للأزرقي: ٥٥٨/١، ٥٥٩، وأخبار مكة للفاكهي: ٣٤/٢، ٤٤، ومصنف عبد الرزاق: ١١٨/٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/٤-٦٤.

(١١٠) أخبار مكة للأزرقي: ٥٦٤/١، وأخبار مكة للفاكهي: ٤٤/٢.

(١١١) أخبار مكة للأزرقي: ٥٦٣/١.

(١١٢) المرجع السابق: ٥٥٩/١.

(١١٣) سورة الإنسان: آية: ٢١.

(١١٤) أخبار مكة للأزرقي: ٥٦١/١.

(١١٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ١٩١٩/٤-١٩٢٢ حديث رقم (٢٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه: ٧٧/١٦-٨٢ حديث رقم (٧١٣٣).

(١١٦) للحديث الذي أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ج٥ ص١٤٧ عن أبي ذر، حيث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنها مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم".

(١١٧) قال الزبيدي في تاج العروس: ١٣٩/٩: "سميت بذلك لأنها كانت اندفنت بعد جرهم، فصارت مكتوبة حتى أظهرها عبد المطلب".

(١١٨) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١ ص٦٤٦.

(١١٩) سنن الدارقطني ج٢ ص٢٨٩ حديث رقم (٢٣٨).

(١٢٠) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة: ٥٦٤/١، وابن ماجه في سننه: ١١٨/٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ١٥٢/٤.

(١٢١) أخبار مكة للأزرقي: ٥٦٦/١.

(١٢٢) المرجع السابق ٥٥٨/١، ٥٥٩، وانظر: البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٠١/١، والقرى لقاصد أم القرى للطبري: ص٤٧٨.

(١٢٣) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي: ٢٥٦٧/٥.

(١٢٤) المستدرك على الصحيحين ج١ ص٦٤٥ حديث رقم (١٧٣٨)، وابن ماجه في سننه: ١٠١٧/٢ حديث رقم (٣٠٦١).

(١٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه: ٥٨٩/٢ حديث رقم (١٥٥٥).

(١٢٦) البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق لأبي البقاء ابن الضياء القرشي: ٢٤٦١/٥.

(١٢٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ج٥ ص٢٠٢.

(١٢٨) أخبار مكة للفاكهي: ٤٩/٢.

(١٢٩) المرجع السابق: ٥١/٢.

(١٣٠) زمزم طعام طعم وشفاء سقم، ليحيى حمزة كوشك، ص٦١.

(١٣١) أخبار مكة للأزرقي: ٥٨٠/١، وانظر: البحر العميق: ٢٥٦٦/٥.

(١٣٢) المِلبن: يطلق على البئر التي تحاط بأربعة أعمدة توضع عليها أربعة عوارض، على كل عارضة بكرة أو أكثر، فيترع الماء من أربع جهات، أما إذا كان على البئر عمودان فقط، فيقال لها: (منحاة). أنظر: تعليق الشيخ ابن دهيش على أخبار مكة للأزرقي.

(١٣٣) أخبار مكة للأزرقي: ٥٨١/١.

(١٣٤) شفاء الغرام للفاسي: ٤٠٠/١.

(١٣٥) معجم البلدان لياقوت الحموي: ١٦٧/٣.

(١٣٦) زمزم طعام طعم وشفاء سقم، ليحيى حمزة كوشك، ص٦١.

(١٣٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج١ ص٢٦٦، والدار قطني في السنن ج١ ص٣٣.

(١٣٨) شرح معاني الآثار للطحاوي: ١٧/١.

الآبار التي تمد من الجاهلية.. مكة المكرمة بالمياه "٢"

وحتى القرن العاشر الهجري

بقلم:

د/ نعيمة بنت عبد الله بن دهيش

عرضنا في الجزء الأول من هذه الدراسة التي نشرت في العدد الماضي للآبار التي كانت موجودة في مكة المكرمة مع شرح مستفيض لبئر زمزم لمكانتها وفضلها وأهميتها .. ونستكمل في هذا الجزء ما بقي من هذه الدراسة وتبدأ بما بذلته المملكة العربية السعودية من الاهتمام ببئر

زمزم ثم تعرض للآبار التي حفرت بعد زمزم في الجاهلية وذلك من خلال هذه الدراسة الرائعة والشاملة للباحثة الدكتورة نعيمة بنت عبد الله بن دهيش.

الوثيقة

اهتمام الدولة السعودية ببئر زمزم

اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية ببئر زمزم، كما اهتمت بعمارة وتوسعة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة أبلغ الاهتمام، وقد استبدلت الدولة السعودية الدلاء التي كان الحجيج وأهل مكة يستقون بها من البئر بتركيب مضخة لتضخ الماء إلى الخزان عام ١٣٧٣م، ومن الخزان إلى الصنابير حول مبنى البئر.

ثم في بداية عام ١٤٠٠هـ تم تنظيف بئر زمزم وتطهيرها وتم تركيب مضخات كبيرة وحديثة لضخ جميع المياه الموجودة في البئر.

وقال دكتور عبد الله نذير محقق البحر العميق: "تقع بئر زمزم على بعد ٢١م من الكعبة المشرفة، وأفادت الدراسات أن العيون المغذية للبئر تضخ ما بين ١١ إلى ١٨,٥ لتر من الماء في الثانية الواحدة، وفي الساعة (٣٩,٦٠٠ لتر)، ومن العيون المغذية فتحة في اتجاه الحجر الأسود بطول (٧٥سم) وارتفاع (٣٠ سم) ويتدفق منها القدر الأكبر من الماء، وهناك فتحة باتجاه المكبرية بطول (٧٠سم) وارتفاع (٣٠سم)، وفتحات صغيرة أخرى باتجاه الصفا والمروة، كما تم إزالة بناء كان قائماً

على البئر، وكان يغطيه بمساحة (٨,٣٠م×١٠,٧م) وقد هدم ما بين عامي ١٣٨١- ١٣٨٨هـ من أجل توسعة المطاف"[١].

ونقل مكان شرب زمزم إلى بدروم مكيف أسفل المطاف، يتم النزول إليه بـ ٢٣ درجة بمدخل منفصل للرجال وآخر للنساء، ومن داخل هذا البدروم يمكن رؤية البئر داخل حيز من الزجاج، ولازدياد عدد الحجيج عاماً بعد عام، فقد رأت الحكومة السعودية سددها الله زيادة مساحة المطاف، فأدخلت بئر زمزم الذي كان في البدروم المشار إليه، في توسعة المطاف، وتم إغلاق البدروم ومدخله، وجعله ضمن الطواف، وتم تحويل مسار ماء زمزم إلى صنابير مياه داخل وخارج الحرم المكي الشريف، وكان ذلك في عام ١٤٢٤هـ.

وقد كانت الحكومة السعودية في عام ١٤١٥هـ قد نفذت بناء أمدت مياه زمزم إليه يقع في كدى، مزوداً بأجهزة لنقل المياه من البئر إلى خزان خرساني مسلح ضخم تبلغ سعته (١٥,٠٠٠)^{٣}، وهو مرتبط بالخزان العلوي الذي يقوم بخدمة نقاط التغذية حول المسجد الحرام لتعبئة الجوالين للراغبين في الاستفادة من ماء زمزم في البيوت والأحياء والمدن السعودية الأخرى، ومن هذا الخزان يتم تعبئة السيارات إلى المسجد النبوي الشريف وإلى سائر مدن المملكة.

وصف البئر أثناء تنظيفها:

يقول المهندس الكوشك أنهم قاموا بقياس عرض البئر أثناء تكليفه بتنظيفها كل حوالي أربعة أمتار وتبين أن البئر من الداخل محكمة التلبيس بعمق أربعة عشر متراً وثمانين سنتيمتراً من فوهة البئر، وتحت هذا العمق يوجد فتحتان لتغذية البئر إحداهما متجهة إلى الكعبة المشرفة والثانية إلى أجياد ثم جزء منقور في الجبل بعمق ١٧,٢٠ متراً[٢].

ومن الملاحظ أن هذه القياسات قريبة من القياسات التي وردت في الروايات التاريخية التي اتفق معظمها على أن غورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعاً (٢٢,٥ متراً) وكله بنيان وما بقي فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعاً (١٦,٢٥ متراً)[٣].

ويعود الفرق في عمق الجزء المبني بين الوقت الحاضر والروايات التاريخية إلى أن بئر زمزم الآن منخفضة عن الكعبة المشرفة تحت سطح أرضية المطاف بينما كانت في السابق فوق سطح الأرض.

أما بالنسبة للجزء المنقور في الجبل فيتبين أن هناك فرقاً يقدر بحوالي متر واحد وذلك نتيجة لعملية تنظيف البئر[٤].

ويختلف قطر البئر باختلاف العمق فهو يتراوح بين ١,٥ متر ومترين ويصل القطر عند التقاء الجزء المبني بالجزء المنقور بالجبل إلى ١,٨٠ متر حيث توجد المصادر الرئيسية للبئر وهي مبنية بصفين من الحجارة وهي على النحو التالي:

١- المصدر الرئيسي: وهو عبارة عن فتحة تتجه جهة الكعبة المشرفة في اتجاه الركن المواجه لحجر إسماعيل وطولها ٤٥ سم وارتفاعها ٣٠ سم وبها غور إلى الداخل ويتدفق منها القدر الأكبر من المياه. وهذا يتفق مع ما ورد في الروايات التاريخية.

٢- المصدر الثاني: وهو عبارة عن فتحة كبيرة بطول ٧٠ سم ومقسومة من الداخل إلى فتحتين وارتفاعها ٣٠ سم باتجاه أجياد.

٣- المصادر الفرعية: وهي فتحات صغيرة بين أحجار البناء تخرج منها المياه. توجد خمس منها في المسافة التي بين الفتحتين الأساسيتين وقدرها متر واحد كما يوجد ٢١ فتحة أخرى تبدأ من جوار

الفتحة الأساسية الأولى وباتجاه جبل أبي قبيس والصفا والمروة حتى تصل إلى الفتحة الثانية وهذه الفتحات لا توجد على مستوى واحد ولكنها على مستويات مختلفة وتتدفق منها المياه بكميات متفاوتة(٥).

ومن الملاحظ أن الروايات التاريخية تحدثت عن وجود ثلاث عيون عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا وعين حذاء المروة بينما تبين بالمشاهدة أن هناك مصدرين أساسيين فقط أحدهما تجاه الكعبة والآخر تجاه أجياد أما المصدر الثالث التي قالت الروايات التاريخية أنه جهة جبل أبي قبيس والصفا فقد وجدت بدلاً منه تلك الفتحات الصغيرة بين أحجار البناء وعددها ٢١ فتحة. ومن المحتمل أنه عند قفل هذا المصدر عند إصلاح بئر زمزم سنة ١٠٢٨هـ تفجرت المياه من بين حجارة البناء.

فقد ذكر الغازي في تاريخه عن العلامة الخضراوي رضي الله عنه في تاج تواريخ البشر أنه في شهر رمضان ١٠٢٨هـ وقع في بئر زمزم أحجار كثيرة من الجهة الشامية والغربية وقد أصلحت في يوم الاثنين الرابع من شهر شوال سنة ١٠٢٨هـ وتم البناء يوم السادس عشر من شوال فما باشر الماء جعل رضماً من غير جبس ولا نوره وما لم يباشر الماء جعل بالنورة والجبس.

وفي سنة ثمان وستين بعد الألف قل ماء زمزم في شهر ذي القعدة الحرام، ثم في شهر ذي الحجة إقلالاً زائداً، ولم يكن يطلع منها سوى الطين في الدلو، ثم نزلوها وحفروا فيها المرة بعد المرة، وتكرر ذلك المرات الكثيرة، وصارت في الموسم تغلق ليلاً لأجل أن تجم(٦) بشيء في النهار لأجل الحجاج، ويكاد يقل في النهار، ثم ينزلونها ويزيلوا ما فيها من الطين وغيره، وتغلق من الصبح إلى الظهر، ومن العصر إلى العشاء، ومنه إلى شروق الشمس، ومع ذلك فلا تجم إلا بالقليل، وما رجعت لعادتها الأولى

إلا بعد مضي المحرم، ولم يعهد ولم يعرف وقوع هذا الحال قط فيها، بل كان يكثر الماء فيها خصوصاً في زمن الموسم ويزيد جداً مع كثرة الجبذ[٧] عليها والنزح منها، ولم يكن بها إقلال أبداً إلا في هذه السنة. ذكره الفاضل العلامة خليفة بن أبي الفرج بن محمد الزمزمي الشافعي البيضاوي في كتابه نشر الأنفاس في فضائل زمزم وسقاية العباس[٨].

وقد تبين من فحص الجزء الصخري في بئر زمزم أن هناك أجزاء منحوتة طولياً في هذا الصخر أربعة منها أسفل المصدر الرئيسي وأربعة بين المصدرين الرئيسيين في مسافة متر واحد وأثني عشر في المسافة التي توجد فيها الفتحات الصغيرة. ويختلف غور هذه الأجزاء المنحوتة فبعضها غائر يصل إلى عمق ستة سنتيمترات وبعضها سطحي. ومن المحتمل أن هذا النحت الطولي في الصخر حدث نتيجة لسقوط المياه من المصادر بصفة مستمرة أو نتيجة لاحتكاك حبال الدلاء فقد ذكرت الروايات التاريخية أنه كانت توجد اثنتا عشرة بكرة عند فم البئر لجلب الماء أو قد تكون نتيجة لهذين العاملين معاً[٩].

وقد جرى عمل تحاليل كيميائية علمية على ماء زمزم أثبتت أن ماء زمزم نقي لا لون له ولا رائحة، وأن صالح تماماً للشرب وأثره الصحي جيد.

وفي الوقت نفسه تمت معالجة مياه زمزم بالأشعة الفوق بنفسجية، ولهذا فهي خالية من الجراثيم، وبتالي لا يوجد هناك أي احتمال لتغير طعمها أو احتوائها على البكتيريا[١٠].

وفي دراسة حديثة نشرت في مستهل شهر القعدة ١٤٣٢هـ في العديد من المواقع[١١]، أكد بحث علمي جديد أجراه باحث مصري من جامعة الإسكندرية، وهو الدكتور حمدي سيف، وكيل كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية أن ماء زمزم يعد "خير ماء على وجه الأرض" لاحتوائه على أفضل التركيزات للأملاح والعناصر المفيدة لصحة الإنسان، وله ميزة نادرة في التركيب، حيث أثبتت

الدراسات العلمية أنه ماء عجيب يختلف عن غيره، فكلما أخذ منه زاد عطاء، وهو نقي طاهر لا يوجد فيه جرثومة واحدة.

وأوضح أن ماء زمزم طبقاً للأسس الطبية يساعد في شفاء أمراض الكلى والقلب والعيون والصداع النصفي، وأنواع عديدة من الأمراض المزمنة والمستعصية.

وذكر الباحث، أن البحث استهدف دراسة مقارنة بين ماء زمزم وبين بعض أنواع مياه الشرب المتداولة (مياه الزجاجات) والمياه الناتجة من وحدة تنقية مياه الشرب بشكل عام، وأثبت أن الفارق بين مياه زمزم وغيرها من مياه مدينة مكة المكرمة أو أي مكان آخر يحتوي على نسبة أملاح الكالسيوم والمغنسيوم، حيث جاءت نتائج التحاليل التي أجريت في المعامل الأوروبية ومعامل وزارة الزراعة والموارد المائية السعودية متطابقة، ولعل هذا هو السبب في أن مياه زمزم تنعش الحجاج المنهكين.

وأكد أن نتائج التحاليل على ماء زمزم أفادت أن المياه صالحة للشرب، وأن صلاحيتها للشرب تعتبر أمراً معترفاً به على مستوى العالم، نظراً لقيام الحجاج من مختلف أنحاء العالم على مدى مئات السنين بشرب تلك المياه المنعشة والاستمتاع بها. وهذه المياه طبيعية تماماً ولا يتم معالجتها أو إضافة الكلور إليها.

وأوضح البحث أن بئر زمزم يبلغ عمقها ٣٠ متراً على جزأين، الجزء الأول مبني عمقه ٨,١٢ متراً عن فتحة البئر، والثاني جزء منقور في صخر الجبل وطوله ٢٠,١٧ متر، ويبلغ عمق مستوى الماء عن فتحة البئر حوالي أربعة أمتار، وعمق العيون التي تغذي البئر عن فتحة البئر ١٣ متراً ومن العيون إلى قعر البئر ١٧ متراً.

كما أن بئر زمزم تقع على بعد ٢١ متراً من الكعبة المشرفة، وأفادت الدراسات أن العيون المغذية للبئر تضخ ما بين ١١ إلى ٤٣ لتراً من الماء في الثانية، ومجمع مياه زمزم في بمكة مزود بأجهزة لنقل المياه من البئر إلى خزان خرساني سعته ١٥٠٠٠ متر مكعب، مرتبط مع خزان علوي يقوم بخدمة نقاط التغذية لتعبئة ونقل الماء بالسيارات إلى أماكن مختلفة خصوصاً إلى المسجد النبوي الشريف.

وأما بالنسبة للمياه المعبأة في زجاجات من الشركات المختلفة، فنجد أن تركيز الأملاح المعدنية فيها في نفس مستوى المياه العادية، ولكنها أقل في التركيز عن الحد الأدنى القياسي في بعض الشركات، مما يخرج كل هذه الأنواع تماماً من التصنيف المسمى بالمياه المعدنية مؤكداً أن المياه المعدنية والتي تعتبر مياه زمزم على رأس القائمة لهذا النوع من المياه مهمة بشكل أساسي لصحة الإنسان ولذلك هناك الكثير من الأدوية التي يتم وصفها للمرضى تحتوي على هذه الأملاح، مع الأخذ في الاعتبار أن عنصر الصوديوم تزداد أهميته فقط في المناطق الحارة لما يفقده الجسم مع العرق، كما أنه يجب أن تكون لمياه الشرب خصوصية التعامل ولا تعتبر المياه الناتجة من وحدات التقنية صالحة للشرب بأي حال رغم نقائها بيولوجياً بسبب النقص الشديد في تركيز الأملاح المعدنية وغير المعدنية فيها إلا إذا كان من يشربها يحصل على الأملاح من مصادرها الأخرى مثل الفواكه والأطعمة المختلفة، واتضح كذلك أن المياه المعبأة في زجاجات محلياً ليس فيها أملاح معدنية، وبالتالي لا يمكن أن يدعى منتجوها أنها مياه معدنية، فهي لا تتميز عن مياه الفلتر العادي (مياه الصنبور) في شيء سوى النقاء.

الآبار التي حفرت بعد زمزم من الجاهلية وحتى القرن العاشر الهجري:

١- بئر الأسود بن البختري[١٢] :

كانت على باب دار الأسود عند الحناطين، دخلت في دار زبيدة الكبيرة عند الحناطين، والبئر قائمة في أسفل الدار إلى اليوم[١٣] .

٢- بئر ركايا قدامة بن مظعون :

قال الأزرقي: وركايا قدامة بن مظعون، حذاء أضاءة النبط بعرنة، في شقها الذي يلي مكة، قريباً من اليسيرة[١٤] .

٣- بئر حويطب بن عبد العزى :

وبئر حويطب بن عبد العزى في بطن وادي مكة، بين دار حويطب[١٥].

٤- بئر مولاة الخيرزان :

والبئر التي نثلت خالصة مولاة الخيرزان بالسقيا، في المسيل الذي يفرع بين مأزمي عرفة ومسجد إبراهيم[١٦].

٥- بئر بأجياد :

وبئر بأجياد في دار زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي[١٧].

زمن الآبار التي حفرت بعد زمزم في الإسلام.

٦- بئر الياقوتة :

قال الأزرقي: "الياقوتة التي بمنى حفرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، فعملها الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتل ابن الزبير رضي الله عنه، وضرب فيها وأحكمها" [١٨].

٧- بئر عمرو بن عثمان بن عفان :

تنسب لعمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وهي بمنى في شعب آل عمرو[١٩].

قال الفاكهي: " ومنها يشرب اليوم الناس بمنى، ويسكبون الماء في مضاربهم "[٢٠].

قال ابن دهيش: "ولعله ما يسمى الآن بحارة قريش بمنى، فهي التي ينطبق عليها هذا الوصف، والآبار في حارة قريش خمس آبار، ولكنها لا تعرف بهذا الاسم اليوم"[٢١] .

٨- بئر الشركاء :

ويوجد بأجياد لبني مخزوم[٢٢].

٩- بئر عكرمة:

بأجياد الصغير في الشعب الذي يقال له الأيسر[٢٣].

قال ابن دهيش: "وقد سمي هذا الشعب في مواضع شق مسفلة مكة اليماني: شعب المتكأ، وذكر أنه بأقصى شعب أجياد الصغير وأن هذه البئر حفرتها زينب بنت سليمان بن علي"[٢٤].

١٠- بئر الصلا :

وتسمى أيضاً بئر الأسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي في أصل ثنية أم قردان[٢٥].

والفاكهي لم يسمها (الصلا) بل عدها عدة آبار، وقال أنها للأسود بن سفيان[٢٦].

قال ابن دهيش: "موضع آبار الأسود بالقرب من بئر ابن الزبير بالخماشية"[٢٧].

١١- بئر الطلوب :

كانت لعمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي في شعب عمرو بالرمضة دون الميثب[٢٨].

قال ابن دهيش: وبئر الطلوب: هذه البئر بالرمضة دون المثيب، والرمضة ما يسمى اليوم بقوز النكاسة، وهو جزء من المسفلة يخترقه الطريق الدائري الثالث، والمثيب مطل على قوز النكاسة من الشرق، وهذه البئر لا زالت موجودة على يسارك وأنت متجه إلى أسفل مكة، وهي البئر الموجودة في بستان الشيخ عبد الله أحمد كعكي، وهي بئر قديمة كبيرة، وقد خطط هذا البستان وأصبح منطقة سكنية[٢٩].

١٢- بئر أبي موسى الأشعري :

بالمعلاة على فم شعب أبي دب بالحجون، حفرها حين انصرف من الحكمين إلى مكة[٣٠]، ثم اندملت فلم تزل مدمولة حتى نثلها بغا مولى أمير المؤمنين في سنة اثنتين وأربعين ومائتين على يد وكيله ابن شلقان وهي قائمة إلى اليوم، أي في زمن الفاكهي[٣١].

قال ابن دهيش: "هذه البئر، غالب ظني أنها البئر التي كانت تسمى (بئر غيلمة) بفوهة دحلة الجن، وكانت العامة تسميها (حوض أبي طالب) وقد دثرا وأدخلا عندما وسع شارع المسجد الحرام"[٣٢].

١٣- بئر شوذب :

كانت عند باب المسجد، عند باب بني شيبة، فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي في خلافته في الزيادة الأولى، في سنة إحدى وستين ومائة، وشوذب: مولى لمعاوية بن أبي سفيان[٣٣].

١٤- بئر البرود :

بفخ، حفرها خراش بن أمية الخزاعي الكعبي[٣٤].وفيها يقول الشاعر: بين البرود وبين بلدح ملتقي[٣٥].

وموقعها بين مكة ووداي فاطمة على طريق مكة المكرمة – المدينة المنورة.

قال ابن دهيش: والبرود في الأصل: هو الجبل الذي قتل عنده الحسن بن علي بن الحسين بن حسن بن علي بن أبي طالب، يوم فخ، ويعرف اليوم بـ (جبل شهيد) وهو يشرف على حي الشهداء من الغرب، وهناك خمس آبار قديمة لا زالت أمانة العاصمة تضخ منها المياه، وإحداها يقال لها: بئر الكردي، وثلاث منها معطلة، فيها مياه آسنة، ولم أستطع أن أجزم أيها هو البرود[٣٦].

وهناك برود آخر في مجتمع طريق حجاج العراق ونجد – سابقاً – تقع اليوم على يمين الذاهب من الطريق المزفت إلى الجعرانة، قبل الجعرانة بخمسة كيلو مترات تقريباً، وتبعد عن طريق الجعرانة أكثر من كيلو متر واحد شرقاً، يسلك إليها من طريق ترابي. وهناك في هذا الموضع بئر عظيمة، وقفت

عليها، وبقربها حياض واسعة، وآثار سدود، وقنوات للمياه، تصل بين هذه الحياض وبين مجرى عين يذهب حتى يلتقي مع مجرى عين زبيدة الآتي من المشاش، عند الريع الأخضر. وقد أشار الفاكهي إلى نحو ذلك[٣٧].

ثم زاد ابن دهيش قوله: عندما وقفت عليها رأيت ماءها ثراً، وقد غطيت البئر بألواح من الحديد، وأقيمت عليها مضخة مياه، وبنيت عندها حجرة صغيرة لهذه المضخة[٣٨].

وقد وصف هذه البئر إبراهيم رفعت، حيث قال: "والبئر مطوية بالحجارة المنحوتة، قطرها ستة أمتار، وعمقها اثنا عشر متراً، ماؤها عذب، لا يزيد ارتفاعه في قاعه عن خمسين سنتيماً"[٣٩].

١٥- بئر بكار :

بذي طوى، عند ممادر بكار.. وبكار: رجل من أهل العراق، كان يسكن مكة وأقام فيها[٤٠].

قال ابن دهيش: وبئر بكار: موضعها في الحفاير اليوم، وثنية الحزنة: هي (ريع الحفاير) الآن. وذكر الفاكهي أنك إذا هبطت من ريع الحزنة تهبط على الممادر- الحفاير – بئر بكار.

وأضاف ابن دهيش: ويوجد الآن جنوب مسجد الطبيشي بالحفاير بئر قديمة مدمولة، في وسط ملتقى أزقة هناك، فلعلها هي، إذ ينطبق عليها وصف الفاكهي، والله أعلم[٤١].

١٦- بئر وردان:

ووردان: بذي طوى عند سقاية سراج بفخ، وسراج مولى لبني هاشم المطلب، وتنسب البئر إلى وردان بن أبي وداع[٤٢].

١٧- بئر الصلاصل:

بفم شعب البيعة عند العقبة: عقبة منى[٤٣]، ولها يقول أبوطالب:

ونسلمه حتى نضرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكم نخوض الروايا تحت ذات الصلاصل[٤٤]

١٨- بئر السقيا:

عند المأزمين – مأزمي عرفة – عملها عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه[٤٥].

قال الفاكهي: "عند مسجد إبراهيم عليه السلام من عرنة، كانت جاهلية حفرتها خالصة"[٤٦].

١٩- بئر لابن هشام ببئر ميمون:

قال الفاكهي: "تدعى الهشامية، وراء الدار التي كانت لأم عيسى بنت سهيل، مقابلة دار محمد بن داود"[٤٧].

٢٠- بئر لكثير بن الصلت:

قال الفاكهي: "في داره التي بالثنية وهي دار طاقة"[٤٨].

قال ابن دهيش: "يريد بالثنية هنا (كدي) الثنية السفلى بالشبيكة"[٤٩].

٢١- بئر لعبد الله بن الزبير:

قال الفاكهي: "بقيقعان"[٥٠].

٢٢- بئر لمعاوية:

قال الفاكهي: "على حمامة عند دار الحمام"[٥١].

قال ابن دهيش: "موضعها اليوم يقع في سوق الجودرية"[٥٢].

٢٣- بئر لعبد الله بن عامر:

قال الفاكهي: "في شعب ابن عامر"[٥٣].

قال ابن دهيش: "كان في شعب عامر أكثر من بئر، فقد كانت على فوهته بئر، وفي أقصاه بئر يقال لها (بئر الحمام) موضعها مقابل المسجد الكبير بهذا الشعب"[٥٤].

٢٤- بئر ابن المرتفع:

قال الفاكهي: "حدثنا الزبير بن أبي بكر، قال: محمد بن المرتفع بن النضر بن الحارث صاحب بئر ابن المرتفع بمكة، وبئر ابن المرتفع التي فوق الأنصاب على طريق العراق، وتعرف ببئر ابن المرتفع اليوم، لرجل يقال له: حوس، وقد عمرها ابن عثمان المكي وسواها، وهي من أعذب المياه"[٥٥].

٢٥- بئر أم النعمان:

قال الفاكهي: "بذي طوى، كان الناس يشربون منها في الفتنة زمن إسماعيل بن يوسف الطالبي "[٥٦].

قال ابن دهيش: "لعلها بئر ذي طوى المشهورة اليوم بجرول، وتقابل مستشفى الولادة، ويقوم عليها بناء عثماني قديم كتب عليه (بئر طوى)"[٥٧].

قلت: ربما لا يكون ذلك صحيحاً فبئر ذي طوى التي هي بجرول حالياً قد صرح بمسماها منذ القدم، وسوف أذكر ما كتبه المؤرخون عن هذه البئر فيما يأتي بعد.

٢٦- بئر ذي طوى:

بئر بجرول بات به النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح واغتسل من ماء بئره وصلى ثم دخل مكة المكرمة كما روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم بات بذي طوى حتى أصبح ثم دخل مكة(٥٨).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يقدم مكة المكرمة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله.

وقد ورد في رواية مسلم ذكر المسجد الذي بني قريباً من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره الفاكهي بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان قريباً من البئر على يمين المتجه إليها وبقي المسجد معروفاً إلى أن أزيل لتوسعة الشارع، أما البئر فمازالت موجودة بجرول مقابل مستشفى الولادة وخلف عمارة الجفري المبنية حديثاً. وتعرف ببئر ذي طوى(٥٩).

وقال عاتق بن غيث البلادي في معجم معالم الحجاز: "ذو طوى: هو الذي يجزعه الطريق من ثنية كداء – الحجون اليوم – وبين الثنية الخضراء – ريع الكحل اليوم – ورأسه ريع اللصوص يخرج إلى صدر فخ، وسيله بمسفلة مكة قرب قوز النكاسة، وهو اليوم وسط عمران مكة، ومن أحيائه العتيبية، وجرول، والتنضباوي، ويعتبر أحد أودية مكة الثلاثة المعمورة، وبئر الطوى لا زالت معروفة بات فيه

الرسول ليلة الفتح، وهذه البئر يشرف عليها من مطلع الشمس جبل قعيقعان، وجهته هذه تسمى اليوم جبل السودان"[٦٠].

قلت: طوى: واد من أودية مكة وكله اليوم معمور بأحياء سكنية، وانحصر اسمه الآن في بئر بجرول تسمى بئر طوى، والبئر ما زالت موجودة بجرول مقابل مستشفى الولادة، وقد أقفلت البئر من قبل البلدية، ولا يسمح لأحد بالدخول لهذه البئر، ويجتمع عند البئر مجموعة من الحجاج في موسم الحج، وأصبحت البئر من الآثار المكية الباقية من العهد النبوي حتى الآن.

آبار إضافية حفرت في القرن العاشر الهجري:

ذكر علي الطبري في الأرج المسكي في التاريخ المكي[٦١] عدداً من الآبار التي حفرت بمكة فيما قبل عهده وحتى عهده في القرن العاشر، ومنها تلك الآبار:

٢٧- بئر بالمسجد الحرام:

حفرت في زيارة دار الندوة، قال علي الطبري: "رأيناها في عمارة الكعبة المشرفة، وهو عام أربعين بعد الألف".

٢٨- بئر في رواق باب أم هانئ:

قال علي الطبري: "دفنها علي المهدي العباسي، وجعل عوضها البئر التي عند باب الحزورة، الكائنة في زماننا بالشرشورة المعروفة هناك".

٢٩- بئر في بيت زهير بن علي بأجياد:

قال: "ومشهور أن الغسيل من هذا البئر نافع في إزالة الحمى".

٣٠- بئر في بيت الشريف محسن بن الحسن:

في حوشه المعروف بحوش الرباعية.

٣١- بئر برباط ربيع بأجياد:

٣٢- آبار بمصافي الدجواة أخر أجياد:

٣٣- آبار عند بركة ماجن:

٣٤- بئر بأول الشبيكة:

معروفة ببئر محمد باشا الوزير، عند الشيخ عبد المعطي.

٣٥- بئر تحت جدار الشيخ عيسى بن مرشد:

مجاورة سويق.

٣٦- بئر في قطعة أرض:

كانت مملوكة سابقاً لبني ظهيرة، بحارة سويقة من حارات مكة المشرفة، فقيل أنها منسوبة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وغالباً ما تكون هي التي أشار إليها الفاكهي: "بئر عبد الله بن الزبير بقعيقعان".

وقد قال في غير موضع: "الجبل المشرف وجهه على قعيقعان على دور عبد الله بن الزبير رضي الله عنه".

٣٧- بئر في وقف السلطان الأشرف قايتباي:

عند باب السلام الصغير.

٣٨- أربع آبار بأربطة السلطان سليمان خان:

في كل رباط واحدة.

٣٩- بئر برباط المراغي على المسعى:

قال: "وهو المعروف في زماننا بوقف الخواجا ابن عباد الله".

٤٠- بئر مجاورة لبيت الملا نور البخاري:

بالقشاشين من حارات مكة المشرفة، منسوبة إلى السلطان قايتباي.

٤١- بئر الشيخ:

قال علي الطبري: "المراد به الشيخ عبد الكبير الحضرمي مقابلة زاويته بخط سوق الليل، لكنها ردمت في هذه الأزمنة القريبة".

٤٢- بئر في دار سعود:

قال: "زوجة زين الدين مبارك بن جلال الدين رأس المباشرين في جدة، وهي بخط سوق الليل، وكانت هذه الدار قبل ذلك حماماً معروفاً بحمام قلبه، وقد أدركت آثاره، وقد دفنت من قريب، وما صار أحد ينتفع بها".

٤٣- بئر عند الدشيشة المعروفة بالخاصكية:

قال: "قريب من المعلاة، وهذه البئر يقال أنها بئر جبير بن مطعم، وكان آخر المساكن بمكة إلى قريب هذه البئر".

٤٤- بئر في المعلاة:

معروفة ببئر أم سليمان.

٤٥- بئر في بستان سليمان خان:

بسوق الليل.

٤٦- بئر ببستان الصوالق:

مقابل البستان المعروف ببستان ابن دخان على يسار الصاعدة إلى المعابدة.

٤٧- بئر ببستان ابن دخان:

على يمين الصاعد إلى المنحنى.

٤٨- بئر بالبستان المعروف بالخرمانية:

في المحل المعروف بالمعابدة.

٤٩- بئران أو أكثر ببستان القاضي حسين المالكي:

٥٠- بئر في البستان الكائن بالمعابدة:

المعروف ببستان القائد ريحان ابن عقبة.

٥١- بئر ببستان المريشي:

الكائن بالمنحنى على يسار الصاعد.

٥٢- بئر بالمنحنى:

على يسار الصاعد في بستان الظهرة.

هذه جملة الآبار التي ذكرها علي الطبري، ونقل قولاً عن التقي أنه كان بمكة ثلاثمائة وخمسون بئراً[٦٢].

وفي مقال لمحمد خزندار عن آبار مكة المكرمة ذكر اعتقاده بأن المسجد الحرام يقوم على بحيرة مائية جوفية بالإضافة إلى بئر زمزم، وذلك من كثرة الآبار المحيطة بالحرم والتي أدخلت في التوسعات المتكررة للمسجد الحرام، وقد عدد بعدد من هذه الآبار منها: بئر الحمام، والبئر الواقعة بجوار المسجد الأثري الواقع بأعلى الغزة بجوار دار نجد للشقق المفروشة، وبئر الطوى، والبئر الواقعة بموقع أول مصنع للثلج أقيم بمكة المكرمة في المعلاة، والبئر التي كانت بداخل باب السلام الكبير بجوار بيت اللبني وأدخلت في المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية، والبئر الواقعة في رباط العباسي أمام باب اللبني،

والبئر التي كانت تعرف ببئر الصابوني بجانب فرن البصري أمام دار الأشي بالقشاشية بالقرب من المسجد الحرام، والبئر الواقعة بأول أجياد، ويظن أن هذه البئر حفرها جبير بن مطعم في العهد الجاهلي(٦٣)، والبئر الواقعة في أول الشبيكة من جهة السوق الصغير بعد الصاغة، والبئر الواقعة بالداوودية بجوار المسجد الحرام(٦٤).

خاتمة البحث

إن توفير المياه الصالحة للشرب يعد مشكلة المشاكل في مكة المكرمة منذ زمن سحيق، حتى أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجته وولده كان يعلم تمام العلم أنها أرض قفر لا زرع فيها ولا ماء، ولا يوجد بها أي مقومات للحياة، فلذلك دعا ربه: " **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** "(٢٠٢)

فاستجاب له ربه، فأوحى إلى جبريل عليه السلام فضرب بعقبه ففجرها لتكون المصدر الذي وهب الحياة لتلك الأرض، ولمن وفد إليها فيما بعد.

ثم أهملت زمزم إلى أن درست واختفت معالمها، حتى زمن عبد المطلب جد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، حتى أن مكانها لم يعرف، إلى أن رأى عبد المطلب في منامه من يقول له: "أحفر زمزم" ويعلمه بمكانها كما ورد في القصة التي أوردتها في ثنايا بحثي هذا.

وظلت مكة المكرمة والجزيرة العربية بشكل عام تعاني أشد المعاناة من قلة المياه الصالحة للشرب، إلى أن قيد الله لهذه البلاد المقدسة حكام آل سعود البررة فعمدوا إلى توفير مصادر المياه بعدة طرق.

قبل العهد السعودي الزاهر، وقد تحسنت خدمات المياه في عهد الملك عبد العزيز وأبنائه البررة من بعده، حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أمده الله بالعون والتوفيق، حيث تمكنت الدولة من مواجهة المشكلة بعدة وسائل كحفر الآبار الارتوازية، وتجميع مياه العيون في بعض الأودية ونقلها إلى المدن، ولكن مع زيادة النمو السكاني والعمراني في المملكة العربية السعودية كانت الوسائل السابقة غير مجدية، لذا بدأت المملكة في الأخذ بأحدث أساليب تنقية المياه المالحة وهو تحويل مياه البحر إلى مياه عذبة فأنشأت عام ١٣٨٩هـ محطتين لذلك في الوجه وضبا على ساحل البحر الأحمر. ونتيجة لنجاح هذه المحطات تم إنشاء محطة لتحلية المياه في جدة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

إدراكاً لأهمية البحث والتطوير العلمي في التنمية الشاملة والمستدامة، تسعى المملكة العربية السعودية إلى الارتقاء بالقاعدة العلمية والتقنية إلى المستويات التي تحقق الأهداف الاستراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتأتي الأبحاث والتطوير في مجالات الطاقة والمياه على رأس سلم الأولويات في المملكة، ورغم أن البحث والتطوير ما يزال محدوداً في مجال الطاقة والمياه مقارنةً بالدول المتقدمة. لكن المملكة تمكنت من تحقيق بعض الأهداف الملموسة من خلال الشركات العاملة ومراكز البحوث، حيث حصلت شركة أرامكو السعودية على (٤٨) براءة اختراع في مجالات صناعة البترول المختلفة بينما وصل عدد مراكز البحث والتطوير التابعة للشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) إلى خمسة مراكز حصلت بموجبها على (١٦٦) براءة اختراع في مختلف بلاد العالم في شتى معارف الصناعات البتروكيميائية، ومن أهم وأبرز إنجازات مركز الأبحاث والتطوير في مجال تحلية المياه المالحة ما توصل إليه من اكتشاف أسلوب جديد لتحلية مياه البحر باستعمال أغشية الترشيح متناهية الدقة (النانو) مع الطرق التقليدية لتحلية مياه البحر.

تعتبر صناعة تحلية المياه من أهم الصناعات الحيوية عالمياً، وقد اكتسبت هذه الصناعة في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص أهمية استراتيجية خاصة لندرة الموارد المائية العذبة حتى أصبحت المملكة حالياً الرائدة عالمياً في تحلية المياه المالحة بنسبة تبلغ ١٧,٤% من الإنتاج العالمي، وبنسبة ٤٥,٥% من إنتاج دول الخليج العربي، وتم ذلك من خلال إنشاء العديد من محطات التحلية على سواحلها والتي يبلغ عددها حالياً ثلاثون محطة عاملة موزعة على الساحلين الشرقي والغربي وتبلغ الطاقة المركبة لمحطاتها ما يزيد على ٣ ملايين متر مكعب يومياً ويتم نقل المياه المحلاة عبر خطوط عملاقة من الأنابيب يتجاوز أطوالها ٤ آلاف كيلو متر.

حيث يلاحظ أن قطاع الخدمات – الذي يضم توليد الكهرباء وتحلية المياه – احتل المركز الأول في استهلاك الطاقة بنسبة ٤٤,٥% من إجمالي استهلاك الطاقة في المملكة البالغة (٢١٨٠) ألف ب/ي من الزيت الخام المكافئ في عام ٢٠٠٤، بينما احتل المرتبة الثانية كل من قطاع النقل والقطاع الصناعي والتجاري بنسب مقدارها ٢٣,٥% لكل منهما لعام ٢٠٠٤، أما باقي القطاعات فقد شكلت نسبة استهلاكها ٤,٨% لقطاع الإنشاءات، ١,٦% للقطاع المنزلي، وفي حدود ١% للقطاع الزراعي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة/ د. نعيمة بنت عبد الله بن دهيش

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

(أ)

٢- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله، تحقيق: أ.د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ١٩٧٨,

٣- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد الأزرقي (٢٤٤هـ)، تحقيق: أ.د. عبد الملك عبد الله دهيش، توزيع: مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤- الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء لعلي بن عبد القادر الطبري، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، نشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، للشيخ عبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (ت ١٣٦٥هـ)، تحقيق : أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، توزيع: مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(ب)

٦- البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي القرشي (ت ٨٥٤هـ) تحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، توزيع: مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

٧- البداية و النهاية: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء (٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

(ت)

٨- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، محمد الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ.

٩- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: محمد طاهر الكردي (١٤٠٠هـ) طبع بعناية: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.

١٠- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام: محمد بن أحمد بن محمد بن سالم الصباغ المكي، تحقيق: أ.د. عبد الملك بن دهيش، نشر: المحقق، ويطلب من مكتبة الأسدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١١- تقريب التهذيب: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر: المكتبة العلمية – المدينة المنورة.

(ح)

١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت.

(د)

١٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(ر)

١٤- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(ز)

١٥- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٦- زمزم طعام طعم وشفاء سقم: يحيى حمزة كوشك، طبع: دار العلم للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(س)

١٧- سنن البيهقي = السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

١٨- سنن الدار قطني: الدار قطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ)، حديث أكاديمي، باكستان.

١٩- سنن ابن ماجة: ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٠- السير والمغازي: محمد بن إسحاق المطلبي / تحقيق: د/ سهيل ذكار، نشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢١- السيرة النبوية: ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(ش)

٢٢- شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الطحاوي أبو جعفر، محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٣- شرح النووي على صحيح مسلم: النووي، محيي الدين بن شرف النووي، أبو زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٤- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: الفاسي، محمد بن أحمد بن علي الفاسي، تقي الدين، أبو الطيب (٨٣٢هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(ص)

٢٥- صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

٢٦- صحيح ابن حبان: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابن أبي حاتم التيمي، ابن حبان (٣٥٤هـ)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٧- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البابي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

٢٨- صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري لعبد الله محمد أبكر، نشر: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(ط)

٢٩- طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر، أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق: د/ عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(ف)

٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر دار الريان للتراث: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٣١- فتوح البلدان: أحمد بن يحيى البلاذري أبو العباس، عبد الله وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ.

(ل)

٣٢- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (٧١١هـ).

(م)

٣٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ابن حجر الهيتمي، علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤,٢هـ، ١٩٨٢م.

٣٤- مرآة الحرمين: إبراهيم رفعت باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.

٣٥- المستدرك على الصحيحين: الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (١٤٥هـ)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٩٩١م.

٣٧- المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٨- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٩- المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤٠- مقالة منشورة بجريدة عكاظ، السنة الثامنة والعشرون، العدد ٨٠١٨، الثلاثاء ٧ ذي القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ يوليو ١٩٨٨م، بعنوان: آبار مكة المكرمة، لمحمد علي حزندار.

(ن)

٤١- نزهة الأنظار والفكر: عبد الستار بن عبد الوهاب دهلوي، نسخة خطية محفوظة بمكتبة الحرم المكي الشريف- مكة المكرمة.

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

٤٣- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، نشر: دار ابن الجوزي- الرياض، الطبعة أولى ١٤٢٧هـ.

الهوامش

(١) أنظر هامش البحر العميق: ٥/٢٥٧٤.

(٢) زمزم طعام طعم وشفاء سقم، ليحيى حمزة كوشك، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) زمزم طعام طعم وشفاء سقم، ليحيى حمزة كوشك، ص ٦١.

(٦) تجم: أي تجتمع (لسان العرب، مادة: جمم).

(٧) الجبذ لغة في الجذب، أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١/٢٣٥.

(٨) نزهة الفكر: ١/ ٣٧٣- ٣٧٤، وانظر: إفادة الأنام للغازي: ١/٦٠٢- ٦٠٣.

(٩) زمزم طعام طعم وشفاء سقم، ليحيى حمزة كوشك، ص ٦١.

(١٠) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(١١) انظر: هذه المقالة في:

- موقع جريدة الشروق.
- http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=09102011&id=202f7085-f8ef-4e16-92a6-16ce652808ac
- موقع المسلم بإشراف الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمرو

http://www.almoslim.net/node/154065

- موقع وكالة الأنباء الإسلامية الدولية http://iina.me/wp_ar?p=1010558

(١٢) هو: الأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى الأسدي.

(١٣) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٢/٨٤٦، وأخبار مكة للفاكهي (٤/١١٣)،.

(١٤) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٢/٨٤٦، وأخبار مكة للفاكهي (٤/١١٣). والإضاءة: الماء المستنقع من سيل أو غيره. أنظر : معجم البلدان لياقوت الحموي: ١/٢١٤، وعند الفاكهي (أضاءة القبط) بالقاف.

(١٥) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢، وأخبار مكة للفاكهي :١١٣/٤، وحويطب بن عبد العزى ابن أبي قيس بن عبد ود، من بني عامر بن لؤي، صحابي أسلم يوم الفتح، وهو أحد المجددين لأنصاب الحرم.

قال الشيخ ابن دهيش في تعليقه على هامش كتاب أخبار مكة للأزرقي: ورباع بني عامر تقابل رباع بني هاشم، فرباع بني هاشم على يمين الصاعد لوادي مكة، وهو على يسار الصاعد، أي أن موضع رباعهم هو سوق الجودرية الآن، ودار حويطب موضعها أعلى من دار الحمام التي آلت لمعاوية رضي الله عنه، فيكون موضعها قبل وصولك لأول الردم – ردم عمر رضي الله عنه – فموضعها في أول سوق الجودرية الآن، ولا أعلم أن في هذا الموضع بئراً اليوم.

(١٦) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢.

(١٧) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢، وأخبار مكة للفاكهي (١١٤/٤).

(١٨) أنظر أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢.

(١٩) المرجع السابق.

(٢٠) أخبار مكة للفاكهي : ١١٧/٤.

(٢١) المرجع السابق، أنظر تعليق ابن دهيش بهامش أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢.

(٢٢) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٧/٢.

(٢٣) أخبار مكة للفاكهي : ١١٧/٤، وشفاء الغرام: ٦٢٤/١.

(٢٤) أنظر تعليق ابن دهيش بهامش أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢.

(٢٥) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢.

(٢٦) أخبار مكة للفاكهي : ١١٨/٤.

(٢٧) هامش المرجع السابق.

(٢٨) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢.

(٢٩) هامش المرجع السابق.

(٣٠) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢.

(٣١) أخبار مكة للفاكهي : ١١٤/٤.

(٣٢) أخبار مكة للفاكهي : (١١٤/٤)، وانظر : البلاذري في الفتوح (ص:٦٨)، وياقوت (٣٠٢/١) حيث نقل هذا الخبر عن الفاكهي.

(٣٣) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢، و أخبار مكة للفاكهي : ١١٥/٤.

(٣٤) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٨/٢.

(٣٥) المرجع السابق: ٨٤٩/٢.

(٣٦) هامش أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢.

(٣٧) هامش أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢.

(٣٨) أنظر : أخبار مكة للفاكهي (١١٥/٤)، والبلاذري (ص:٦٨).

(٣٩) في كتابه: مرآة الحرمين (٣٧٠/١).

(٤٠) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢، و أخبار مكة للفاكهي : ١١٥/٤.

(٤١) أنظر هامش أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢، وهامش أخبار مكة للفاكهي : ١١٥/٤.

(٤٢) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢، وأخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤، وأنظر: والبلاذري ص: ٦٨(١) أخبار مكة للأزرقي: ٨٤٩/٢، وأخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤، وأنظر : والبلاذري ص: ٦٨.

(٤٣) البيتان ذكرهما الأزرقي في أخبار مكة: ٨٥٠/٢، والفاكهي في أخبار مكة: ١١٣/٤، والفاسي في شفاء الغرام: ٦٢٨/١، وابن هشام في سيرته: ٢٩٤/١.

(٤٤) أخبار مكة للأزرقي: ٨٥٠/٢، وأخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٤٥) أخبار مكة للأزرقي: ٨٥٠/٢.

(٤٦) أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤، ١٧٣.

(٤٧) المرجع السابق.

(٤٨) هامش أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٤٩) أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٥٠) المرجع السابق.

(٥١) هامش أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٥٢) أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٥٣) هامش أخبار مكة للفاكهي : ١١٦/٤.

(٥٤) أخبار مكة للفاكهي : ١١٧/٤.

(٥٥) المرجع السابق: ١١٩/٤.

(٥٦) هامش أخبار مكة للفاكهي : ١١٩/٤.

(٥٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "كتاب الحج" باب دخول مكة نهاراً أو ليلاً، باب دخول مكة نهاراً أو ليلاً، حديث رقم (١٤٩٩)، نشر دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٥٨) تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً لـ د. محمد الياس عبد الغني.

(٥٩) معجم معالم الحجاز لعاتق بن غيث البلادي: ٥/٢٣٧.

(٦٠) أنظر: الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء لعلي بن عبد القادر الطبري، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، نشر : المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٩٢.

(٦١) إلى هنا نهاية نقل الآبار التي انفرد بها علي بن عبد القادر الطبري، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٦٢) أنظر ما أوردت في وصف بئر جبير بن مطعم.

(٦٣) محمد علي حزندار، آبار مكة المكرمة (مقالة منشورة بجريدة عكاظ، السنة الثامنة والعشرون، العدد ٨٠١٨، الثلاثاء ٧ ذي القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ يوليو ١٩٨٨م).

(٦٤) سورة إبراهيم: آية: ٣٧.

FOOTNOTES

1 - Al-Habib Al-Jenhani. Al-Maghrib al-islami. Tunis, 1978, pp.13-14.

2 - Habib Jcnhani, Islamic Currency and the Economic State of Affairs in Islamic History. // Hadith aldar. No. 25. Dawlat al-Kuwayt, 2008, p. 47.

3 - Bolshakov O.G. Srednevekoviy arabskiy gorod. // Ocherki istorii arabskoy kul'turi V-XV vv. Moskva, 1982, p. 176.

4 - Faysal al-Samir. Al-Usul al-tarikhyya lil-hadara al- arabiyya al-islamiyya fi al-sharq al-aqsa. Bads, 1977, p. 14.

5 - Dr. Ali Abahussain. An Introduction to the Definition of Bahrain. // Al-Wathiqa. No. 57, Bahrain, 2010, p. 206.

6 - Ibid., p. 203.

7 - Dr. Nihal Khalil Yunis al-Sharabi. Wilayat al-'Ala' Ibn. Al-Hadhrami 'ala Al-Bahrain. // Al-Wathiqa. No. 57, Bahrain, 2010, p. 162.

8 -Ibid., p. 162.

9 - Dr. A. Negre. Commerce and Coins in Medieval Bahrain. //Al-Wathiqa. No. 57, Bahrain, 2010, p. 180.

10- Buzurg Ibn Shahriyar. Chudesa Indii. Moskva, 1959, pp. 76-78.

11- A. Mets. Musul'manskiy Renessans. Moskva, 1973, p. 348.

12- Ibn Khurdadbeh. Kniga putey i stran. Baku, 1986, pp. 81- 82.

13- K.Z. Ashrafyan. Rednevekoviy gorod Indii XIII-XVIIIveka. Moskva, 1983, p. 32.

14 - Faysal Al-Samir. Al-Usul al-tarlichiyya lil-hadara al- 'arabiyya al-islamiyya fi al-sharq al-aqsa. 1977, p. 17.

15 - Abu-1-Fadl Bayhaki. Istoriya Mas'uda 1030-1041. Tashkent, 1962, p. 278.

16 - E. Y. Vanina. Srednevekovoye gorodskoye remeslo Indii. Moskva, 1991, p. 74.

17 - Faysal al-Samir. Al-Usill al-tarikhiyya lil-hadara al- 'arabiyya al-islamiyya fi al-sharq al-aqsa. 1977, p. 21.

18 - Buzurg Ibn Shahriyar. Chudesa Indii. Moskva, 1959, p. 92.

19 -Ibid., p. 98.

20 - Dr.'Ali Aba Husain. Al-'Alaqat al-tarikhyya baina al- Bahrain wa al-Hind. Al-Bahrain, 1996, p. 20.

21 - Ibid., pp. 15-17.

ABOUT THE AUTHOR

Veronica Kunkova is a PHD candidate in History of the Middle East at the Saint-Petersburg State University (Russia). Her thesis is on the role of market as socioeconomic institution in the Abbasid Caliphate. Her main interest lies in the complex problem of medieval Arab city particularly in respect of its great role in the commercial prosperity of the Arab World.

The sea trade in the Indian Ocean was the most important for the Arab merchants; such countries as India, China, Indonesia, East African states exported precious goods that were the source of huge wealth for the Caliphate. The Arab Gulf traditionally performed as a gateway to the Indian Ocean and always had a strategic position. The Abbasids' new capital-city Baghdad located on the Tigris Rive banks had the direct access to the Arab Gulf that predetermined its role as a commercial leader of the region that connected the trade centers of the Arabian Peninsula, Iraq, Iran and other territories of the Caliphate with each other and with the foreign countries. Russian scholar Oleg

Bolshakov characterized the medieval Baghdad as "the unique phenomenon that was not only the center of formation of the Arab culture but as well was the largest city of its time"(3), it was one of the largest cities in the history' of the Middle Ages — its square was 4000 hectares. As well, it was the first time in the history that the capital-city of the Arab Empire got the direct access to the trade sea routes leading to the Far East countries(4).

In all periods of its history Bahrain was well-known as the center of pearl-fishery that contributed a lot to its economic prosperity, but what is even more important is its geopolitical position on the crossroads of the sea-trade routes to the Indian Ocean. It must be mentioned that when we use the term "Bahrain" concerning the medieval history context this name includes not only the territory of the modem Kingdom of Bahrain but "all countries situated on the western coast of the Arab Gulf extending from Kazima in Kuwait in the north to Julfar (Ras al Khaima) in the south"(5). It is possible that the reason for using the name Bahrain for such a vast region was the huge economic role of Bahrain archipelago that had highly developed pearl-industry, ship-building and trade; that's why "the name Bahrain came to be applied to the whole region according to the practice of applying the name of the part to the wrhole"(6). It is also important that at the time of the Abbasid dynasty rule Bahrain, Oman and Yamama were united into one administrative province(7). The Arabic manuscripts contain very useful information about the trade routes of the Arab Gulf region, for example, "there are ten days from Bahrain to Yamama, there are fifteen days to Basra by camel, and there is one month to Oman"(8). The periods of political independence in the history of Bahrain resulted in the mint of local coins; Nasir-i Khosrow

mentions the Qarmatid lead coins that were used only inside their country and could not be exported abroad, but that rule wasn't always followed and they are found in different other countries(9).

Oman performed as a transit trade center in the Arab Gulf for the goods from the Far East. Buzurg Ibn Shahriyar describes in his famous book "The Wonders of India" (10th c.) a very interesting situation that deals with the merchants and took place in Oman. A very rich merchant Ishaq Ibn Al- Yahudi came from China to Oman on his own ship in 912-13 and bribed the local governor Ahmad Ibn Hilal (the sum of that bribe was of more than one million dirhams) because he wanted to avoid paying 'ushr for his goods. The Abbasid

caliph al-Muqtadir (908-932) becam e interested in the wealth of this merchant and sent his messenger Al-Fulful to Oman to bring Ishaq and all of his goods to the capital-city of Baghdad. Following the order of the caliph the governor of Oman Ibn Hilal told his servants to arrest the merchant. However, at the same time he started the instigation of the local merchants to disobey Al-Muqtadir because that awkward situation could harm the relations with the foreign merchants and undermine the reputation of Oman. The reaction of all the merchants in Oman was immediate: "All city markets were closed; every local and foreign merchant wrote the special letter to inform the caliph that if the Jewish merchant is taken from Oman by force, they will live Oman and no commercial ship will ever come to this place, and they will also warn everyone that to anchor in the ports of Iraq is too dangerous, because no one can be safe there. <...> These merchants were shouting and arguing with Ahmad Ibn Hilal that made Al-Fulful and his people to leave Oman..."(I0). This is an example that

confirms the influence of the rich merchants on the commercial regulations in the Abbasid Caliphate in the 10th century, and the local rulers were so powerful because of the commercial importance of Oman that they could impose economic restrictions that influenced the whole of the Arab Gulf region.

Trade relations of the Abbasids with India via the Arab Gulf were regular and very profitable. India possessed such an important commercial enterprise as an international indigo market; for instance, the income of the Indian indigo sale in Kabul is assessed as 2 million dinars a year" . Ibn Khurdadbeh (9th c.) in his "Book of Routes and Countries" gives a detailed description of the export Indian goods: "...from India — aloe, sandalwood, camphorwood, nutmeg, cloves, cardamom, coconut palm, clothes <...>, cotton and velvet clothes and elephants. From Ceylon — rubies of different kinds, diamonds, pearls, crystals..."(,2). That time India was the great exporter of spices, precious stones, silk, cotton, cloths, fragrances, leather, metalwork, ambergris. The high-priced silk cloths production centers were in Bengal region, Bihar, Gujarat; woolen cloths of premium quality were made in Kashmir; cotton cloths — in Gujarat, Dekan, Rajasthan, Punjab, and central part of Northern India(,3). India was also the main world producer of cotton that penetrated Spain through Iran due to this trade.

The Abbasid Caliphate was the consumer of huge part of Indian aloe, a widespread fragrance in the medieval world. There is a legend that wazir Yahya I bn Barmak when seeing the famous founder of Baghdad caliph Al-Mansur (754-775) smoking Chinese aloe called

“Kumari”, immediately advised him to try the Indian one, and after that the export of Indian aloe started after the caliph's order(,4).

In the 9th century the Arabs imported citrus plants — lemon and wild orange from India, and the cultivation of these new agricultural products started in the Caliphate. Indian timber is also worth to mention, because a large amount or Arab ships was built of exported teak and walnut.

One of the prominent Indian medieval crafts is the metalwork (especially swords, tableware, incens e-bumers)(15) that was in popular demand among the Arabs. It's well known that Indian steel was used in production of famous Damask and Toledo blades(l6). There is a special Arabic epithet used to emphasize the sharpness of sword (i.e. 'like Indian’) that underlines the Arabs' appreciation of Indian premium quality steel(l7).

It must be mentioned that the medieval Arabic sources use two terms concerning the territory of India — Hind and Sind. Hind means the territories to the east from the Indus River, i.e. not only the Indian Subcontinent itself but such countries as Indonesia, the Philippines, the Malacca Peninsula etc. Sind includes the province of Sind, Makran, Belujistan, and a part of Punjab. Therefore if the issue deals with Arabic "India" such country as Indonesia (the main camphor producer) must be characterized as well. Buzurg Ibn Shahriyar mentions that the Arab merchants frequently used to undertake their commercial voyages to Indonesia, particularly to Sumatra the largest camphor exporter: "Yunus Ibn. Mihran, a merchant from Siraf who visited Sumatra, told me that he saw a lot of great markets in the city

where maharaja (king of Sumatra) lives"(18). The same author also speaks about ambergris trade on the Java Island (l9).

The Arab merchants used their knowledge of the season winds in the Indian Ocean, and probably they could reach China during the one season. The sea-route to India included the so-called "seven seas" mentioned by the medieval sources: 1) the Arab Gulf, 2) the Sea of Lar (Lar is an ancient name of Gujarat), 3) the Bengal Gulf, 4) the Strait of Malacca, 5) The Kardanj Sea, 6) the South-China Sea, 7) the East-China and Yellow Seas. The port of Dibal (modem Karachi in Pakistan) was the most popular among the merchants from the Caliphate[20]. The Arab commercial connections with India also resulted in cultural and linguistic interactions. There are a lot of loan-words of Indian origin in the Arabic seafaring and trade terminology. For example, the sailors in Bahrain use such words as wanji (Indian "ship"), danki ("large war ship"), jaman ("ship"), birja or hurl ("transport ship"), sarhang ("captain's assistant" [21].

Thus, the conclusion is that the medieval prosperous Arab Empire was on the top of its economic growth and political influence under the Abbasid rule that helped it to establish close connections via the Arab Gulf with such distant countries as India, China, the Philippines and Indonesia.

Veronica Kunkova

PHD candidate in History of the Middle East at the Saint-Petersburg State University (Russia)